



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عمار ثليجي الأغواط
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
مذكرة ماستر



تقديم الطالب: بدر الدين جليخ

ميدان: لغة وأدب عربي

شعبة: دراسات أدبية

تخصص: أدب عربي قديم

الموضوع:

البناء الفني في شعر المدح
حسان بن ثابت نموذجاً

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة
مسعود عامر	أستاذ التعليم العالي	رئيساً
عيسى كويسي	أستاذ محاضر "ب"	مشرفاً ومقرراً
محمد فنطازي	أستاذ التعليم العالي	مناقشاً

السنة الجامعية: 2018-2019

إهداء

إلى من سكبت التراب على صدره والدّمع على قبره إلى من أورثني إسمه فأقسمت أن أشرفه
في كلّ محطة وموقف في حياتي إلى روح والدي العزيز -رحمه الله- وأسكنه فسيح جنانه.
إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي والدتي الغالية أمّ الله في عمرها.

إلى قرة أعيني إخواني وأخواتي، وإلى كلّ فرد من أفراد عائلتي

إلى النور الذي أضاء حياتي خطيبي الغالية حفظها الله ورعاها

إلى أستاذي المشرف الذي كان نعم الموجّه والمرشد.

إلى جميع أصدقائي ورفقاء الدراسة وإلى كل من أحبّني وأخلص لي دعوة في ظهر الغيب.

إليهم جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع

بدرالدين



www.badr-al-din.com

شكر وتقدير

أشكر الله مولاي وخالقي الذي منّ عليّ بإتمام هذا العمل مع رجائي أن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

وامتثالا لقول المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)

أتقدّم بجزيل الشكر والإمتنان لأستاذي المشرف الدكتور عيسى كويسي على كلّ ما قدّمه لي من

نصائح وتوجيهات أفادتني في عملي.

والشكر موصول إلى الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم بقبول مناقشة الرسالة وتقديم

الآراء التي من شأنها تقويم هذه الدراسة.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى كلّ الأساتذة الذين رافقوني في مساري الدراسي.

ولا يفوتني أن أقدم شكري إلى كلّ من مدّ لي يد العون وأفادني من قريب أو من بعيد لإنجاز هذا

العمل سائلا المولى عزّ وجلّ أن يوفّقني وإياهم إلى كلّ خير والله ولي التوفيق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

[المجادلة، الآية 11]

صدق الله العظيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتَى
إِنَّ رَبَّهُ لَسَدِيدٌ
إِلَىٰ عَرْشِهِ الرَّحِيمُ
الَّذِي يُخَوِّضُ الْغَوَّاصِينَ
الَّذِي يُصَوِّرُ الْبَشَرَ
أَكْبَرُ الْعِلْمِ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ

مقدمة

إنَّ غرض المدح من أبرز أغراض الشعر العربي على الإطلاق، يرجع تاريخه إلى تاريخ الشعر نفسه فالمدح محبَّب عند الإنسان طبعاً وسليقة، لذلك حظي باهتمام الشعراء والمتلقين له منذ القديم فقد كان العربيّ يحبُّ أن يثنى عليه بالصفات الحميدة التي اشتهر بها كالكرم والشجاعة وحماية الجار وإغاثة الملهوف وغيرها، فوجد الشعراء في هذا الغرض الشعري طريقاً إلى كسب قلوب الممدوحين فنظموا فيه قصائد لا تعدّ ولا تحصى، وذلك حسب رغباتهم العامة أو الخاصة، فمنهم من مدح إعجاباً وتأثراً ومنهم من مدح تكسباً، ومنهم من مدح تحقيقاً لمآرب أخرى، ومع ظهور دين الإسلام وانتشار نور الهداية بدأ غرض المدح بالتغيّر تدريجياً، فقلَّ فيه مدح التكسب والمبالغة، وأصبح يحمل الطابع الإسلامي الخالص لوجه الله فافتصر في هذه الفترة -ونقصد بها صدر الإسلام- على مديح النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته والمجاهدين في سبيل الله، وأكثر من مثل هذا الإتجاه من الشعراء "حسان بن ثابت" الذي لُقّب بشاعر الرسول ﷺ، وحقّ له ذلك كونه رضوان الله عليه قد سخر شعره لمديح النبي ﷺ ونصرته للدعوة الإسلامية والدفاع عن الإسلام والمسلمين.

ومن هذا المنطلق ولحي الكبير لأدب المديح فكّرت في البحث فيه والتعرّف على بنائه الفني، واخترت أن يكون الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري هو محور دراستي، فجاء بحثي هذا بعنوان: البناء الفني في شعر المدح (حسان بن ثابت نموذجاً).

وإلى جانب هذا كانت هناك عدّة أسباب جعلتني أخوض الدراسة في هذا الموضوع أذكر منها:

- أنّ البناء الفني يشمل جميع عناصر الشعر تقريبا من لغة وأساليب وصور وغيرها.
- مساهمة البناء الفني في كشف مواطن الجمال في النصوص الشعرية.
- قصائد المدح التي تعتبر من أهم قصائد الشعر العربي لحفاظها على المنظومة الأخلاقية العربية.
- كون الشاعر حسان بن ثابت شاعراً مخضرمًا تغنى بالشعر في جاهليته وإسلامه، ممّا شكّل ذلك تنوعاً في مدحياته وأساليبه ومعانيه.

-الإعجاب والتأثر بشعر حسان بن ثابت وشخصيته العظيمة، فعلى الرغم من أنه لم يقاتل المشركين بسيف، إلا أنه اتخذ الشعر سيفه الصارم فوقف مع النبي ﷺ وخدم الإسلام والمسلمين خدمة جليلة.

وقد تبلورت عدّة تساؤلات من خلال تطرّقي لهذه الدراسة حاولت أن ألمّ بها جميعاً أذكر منها:

- ما المقصود بالبناء الفني وما هي مكوناته؟

- ما المقصود بشعر المدح؟ وكيف كان في الجاهلية و في الإسلام؟

- ما هي مضامين شعر المدح عند الشاعر حسان بن ثابت؟

- ما طبيعة البناء الفني لمديحاته؟

وتتمثل أبرز أهداف الدراسة في الوقوف على بعض الجوانب الفنية في بناء قصائد المدح عند الشاعر حسان بن ثابت، وكذا استقراء الصور الفنية بمختلف أنماطها والتي تعدّ من مكونات البناء الفني لمديحاته، فاتّبع في ذلك المنهج الفني الذي يساعد على معرفة درجة تفرّد وإبداع الشاعر في نصوصه الشعرية، كما استعنت بالمنهج التاريخي.

وعليه قمت بوضع خطة تشتمل على مقدّمة ومدخل وفصلين وخاتمة وملحق، وسمت المدخل "بالبنية والبناء الفني"، وكان منصباً على مفاهيم عامة حول البناء الفني، ففيه تناولت مفهوم البنية في اللغة والإصطلاح وتداولها بين النقاد العرب والغرب القدامى منهم والمحدثين، ومن ثمّ قمت بتحديد مفهوم البناء الفني في الشعر مع الإشارة إلى بعض آراء النقاد فيه.

أمّا الفصل الأول وهو الشق النظري فقد عنونته "بماهية غرض المدح"، فتطرّقت في العنصر الأول إلى المفهوم اللغوي والإصطلاحي للمدح بالإضافة إلى التعرض للمدح النبوي، وفي العنصر الثاني وقفت عند غرض المدح في الشعر العربي القديم الجاهلي والإسلامي، وتحدّثت في العنصر الثالث على مضامين المدح عند الشاعر حسان بن ثابت.

أمّا الفصل الثاني وهو الشق التطبيقي فكان بعنوان: "التشكيل الفني في شعر حسان بن ثابت"، وفيه عمدت إلى تحديد عناصر البناء الفني في مدحياته من حيث اللغة والأساليب، وتوظيفه المحسنات البديعية من جناس وطباق ومقابلة واقتباس، والصور البيانية من تشبيه واستعارة وكناية، حيث مثّلت لكلّ من هذه العناصر بنماذج منتقاة من ديوانه، إذ تعتبر هذه العناصر تشكيلا فنيا كشف عن التناسق الفني والإنسجام في البناء العام لنصوصه الشعرية.

وتنتهي الدراسة بخاتمة تحتوي على أبرز النتائج والخلاصات التي توصلت إليها، وذيّلت كلّ ذلك بملحق للتعريف بسيرة الشاعر.

وقد استعنت في ذلك بمجموعة من المصادر والمراجع التي أعانني على البحث في هذا الموضوع وسبر أغواره وخفائيه، يأتي في مقدّمها مصدر دراستنا وهو: (ديوان حسان بن ثابت) شرح وتحقيق الأستاذ عبد أ.علي مهنا، ومن المعاجم نأخذ: (لسان العرب) لابن منظور، وكتب أخبار الأدب ككتاب (العمدة في صناعة الشعر ونقده) لابن رشيق القيرواني، وكتاب (نقد الشعر لقدماء بن جعفر)، ومن المراجع نذكر: (نظرية البنائية في النقد الأدبي) لصلاح فضل، و (المدائح النبوية في الأدب العربي) لزكي مبارك.

وكما لا يخلوا أيّ بحث علمي من صعوبات تعترض طريق الباحث في بحثه، فقد واجهتني كذلك بعض تلك الصعوبات أذكر منها:

- قلة الدراسات التي اشتغلت على ديوان حسان بن ثابت من الجوانب التطبيقية، ووفرة الدراسات التي تعرّضت للنواحي التاريخية.

- صعوبة التمييز بين بعض الأغراض الشعرية وذلك بسبب تداخلها فيما بينها مثل (الفخر والمدح والرتاء).

- صعوبة التوفيق بين العمل المهني والبحث العلمي.

وبفضل الله تعالى قد تجاوزت كلّ تلك الصعوبات والعراقيل التي اعترضتني، فأحمده حمدا كثيرا على فضله وتوفيقه لي بإنهاء دراستي هذه وإخراجها إلى النور، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الدكتور الفاضل: عيسى كويسي على ما قدّمه لي من نصائح وتوجيهات وإرشادات كان لها الأثر الكبير في تقويم مذكرتي، فله منّي جزيل الشكر وخالص التقدير.

كما أشكر لجنة المناقشة على تكريمها بإثراء هذا البحث المتواضع راجيا من المولى أن يكون قد ساهم ولو بالنزر القليل في الكشف عن أهم الجوانب الفنية في مدحيات حسان بن ثابت.

وفي الأخير إن كنت قد وفقت فالتوفيق من رب العالمين، وإن كان غير ذلك فحسبي أنني أخلصت النية وبذلت الجهد والله الحمد.

مدخل

البنية والبناء الفني

أولاً: مفهوم البنية

ثانياً: مفهوم البناء الفني

مدخل: البنية والبناء الفني

بما أنّ تحديد المفاهيم يعدّ المدخل الأساسي لكلّ دراسة علمية فقد جاء في هذا المدخل تحديد للمصطلحات الأساسية التي تقوم عليها هذه الدراسة وذلك بدءاً بضبط مفهوم البنية وتحديد البناء الفني في الشعر، وانتهاءً بشرح بعض عناصره.

أولاً: مفهوم البنية

أ- لغة:

جاء في المعاجم العربية أنّ البناء نقيض الهدم، والبنية بكسر الباء أو بضمّها، واستعملت هذه المفردة في الغالب للدلالة على الإنشاء والتشييد والبناء.

ففي لسان العرب لابن منظور: «الْبِنْيَةُ وَالْبُنْيَةُ ما بَنَيْتَهُ، وهو الْبِنْيُ وَالْبِنْيُ، يقال بِنْيَةٌ وهي مثل رِشْوَةٍ ورِشَاءٍ كأنَّ البنية الهيئة التي بنيت عليها مثل المشية والركبة، والبنى بضمّ المقصور مثل البنى يقال بنية وبنى وبنية وبنى بكسر الباء مقصور مثل جزية وجزى، وفلان صحيح البنية أي الفطرة، وأبنت الرجل أعطيته بنى وما يبني به الأرض.»¹

وفي القاموس المحيط للفيروز آبادي: «الْبِنْيُ: نقيض الهدم، بناه بينيه بِنْيًا وِبْنَاءً، وِبْنِيَانًا وِبْنِيَةً وِبْنَايَةً وِبْنَانًا وِبْنَاهُ، وِبْنَاءُ: المَبْنِيُّ ج: أْبْنِيَةٌ جج: أْبْنِيَاتٌ، وِالْبُنْيَةُ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ، ما بنيته ج: الْبِنْيُ وَالْبِنْيُ، وِبْنَاءُ الْكَلِمَةِ: لزوم آخرها ضرباً واحداً من سكون أو حركة لا لعامل.

حيث ورد ما يتمييز بين البنية "بالكسر"، والبنية "بالضم"، فجعلوها بالكسر في المحسوسات وبالضمّ في المعاني.»²

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 1990م، جزء 15، مادة (بنى)، ص 106، 107.

² مجد الدين مُجَدِّد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف مُجَدِّد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا، طبعة فنية منقّحة مفهرسة، 1998م، ص 1264.

وفي التعريف اللغوي الغربي للبنية أو البناء هي: « ما يقابله في الإنجليزية لفظ (Structure)، وهو مشتق من الأصل اللاتيني (Struere) بمعنى "بني" أو "يشيد"، أو هو الطريقة التي يقام بها مبنى ما، ثم امتد مفهوم الكلمة ليشمل وضع الأجزاء في مبنى ما من وجهة نظر الفن المعماري وبما يؤدي إليه من جمال تشكيلي.»¹

ومما سبق يتضح لنا أنّ كلمة بنية بكلّ مدلولاتها الحسية والمعنوية لا تكاد تخرج عن هيكل الشيء، أو مظهره والهيئة التي تنظّم بها وفق العناصر داخل البناء.

ب- اصطلاحاً:

لقد تحدّث النقاد العرب قديماً وحديثاً عن مصطلح البنية وكلّ عرفه حسب وجهة نظره، حيث ارتبط عند معظم النقاد القدامى بصناعة الشعر، نذكر منهم:

ابن طباطبا (ت.322هـ) الذي يرى بأنّ أحسن الشعر « ما ينتظم القول فيه انتظاماً يتسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله، فإن قدم بيت على بيت دخله الخلل كما يدخل الرسائل والخطط إذا نفض تأليفها، فإنّ الشعر إذا أسس فصول الرسائل القائمة بأنفسها، وكلمات الحكمة المستقلة بذاتها، والأمثال السائرة الموسومة باختصارها لم يحسن نظمه، بل يجب أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها نسجاً وحسناً وفصاحة، وجزالة ألفاظ، ودقة معانٍ وصواب تأليف، ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه إلى غيره من المعاني خروجاً لطيفاً، حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة فراغاً لا تناقض في معانيها ولا هي في مبانيها.»² وهنا قد نظر ابن طباطبا إلى البناء الفني من زاوية الوحدة العضوية للقصيدة.

أمّا قدامة بن جعفر (ت.337هـ) فقد أكّد وجود مكونين رئيسيين لبناء القصيدة موظفاً لفظة البنية في عدّة مواضع، وأمّا المكون الأول فهو الإيقاع فقد أشار إلى ذلك بقوله: « بنية الشعر، إنما هي التسجيع

¹ ينظر، صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 1، 1419هـ-1998م، ص 120.

² محمد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، شرح وتحقيق عباس عبد الساتر، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1426هـ-2005م، ص 131.

والتقنية، فكلما كان الشعر أكثر اشتمالاً عليه، كان أدخل له في باب الشعر وأخرج له عن مذهب النثر.¹

والمكون الثاني المعنى إذ يقول في ذلك في معرض تعليقه عن شعر امرئ القيس: « فبنية هذا الشعر على أنّ ألفاظه مع قصرها قد أشير بها إلى معانٍ طوال. »²

كما ركّز ابن رشيق القيرواني (ت. 456هـ) على ثلاثة عناصر أساسية في بناء البيت الشعري، وهي المعنى والوزن، والقافية، وفي ذلك يقول: « والبيت من الشعر كالبيت من الأبنية قراره الطبع، وسمكه الرواية وبابه الدربة، وساكنه المعنى، ولا خير في بيت غير مسكون، وصارت الأعراب والقوافي كالموازن والأمثلة للأبنية أو كالأواخي والأوتاد للأخبية، فأما سوى ذلك من محاسن الشعر فإنّما هو زينة مستأنفة ولو لم تكن لأستغني عنها. »³

وتحدّث حازم القرطاجني (ت. 684هـ) عن البنية في معرض حديثه عن جمع الشعراء للمعاني والأغراض المتعددة بقوله: « إذا كان الشاعر مقتدرًا على النفوذ من معاني جهة إلى معاني جهة أو جهات بعيدة منها من غير ظهور تشتت في كلامه، وكان حسن المآخذ في ما يعضد به المعاني التي هي عمدة في كلامه، بصيرا بأنحاء التدرج من بعض الأغراض والمعاني على بعض، بالغا الغاية القصوى من التهدي إلى أحسن ما يمكن أن تكون بنية غرضه وكلامه عليه من المعاني الشديدة العلقه بغرضه والإنتساب إلى مقصده... قيل فيه أنه بعيد المرمى. »⁴

¹ أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 90.

² نفسه، ص 155.

³ أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1420هـ-2000م، باب حد الشعر وبنيتها، ص 196.

⁴ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط 2، 1981م، ص 323، 324.

أمّا النقاد العرب المعاصرين فقد أوردوا مجموعة من التعاريف للبنية نذكر في مقدّماتهم:

الدكتور صلاح فضل الذي حدّد البنية بمدى علاقتها مع العناصر المكونة لها، وعرّفها بقوله: «أنها كلُّ مكوّن من ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على ما عداه ولا يمكنه أن يكون ما هو إلا بفضل علاقته بما عداه، هو أبسط تعريف للبنية حتى الآن يسمح لنا بالتقدّم في تحليل خصائصه الإصطلاحية.»¹

ويحدّد بعض الباحثين البنية بأنها: «ترجمة لمجموعة من العلاقات بين عناصر مختلفة، على شرط أن يصل الباحث إلى تحديد خصائص المجموعة، وكذا العلاقات القائمة فيما بينها من وجهة نظر معيّنة، ومع ذلك فمن الملاحظ أنه كلّما اجتمعت بعض العناصر في كلّ ما نجمت عنها أبنية يتّسم تركيبها بالإطّراد، هذا الكل هو ما يسمّى بالنظام، يتميّز بالتنظيم والتواصل بين عناصره المختلفة.»²

ومن خلال هذا التعريف نصل إلى نتيجة مفادها أنّ البنية تتفحص كيفية ارتباط عناصر النص الفنية كما أنّها تؤكّد على مدى تلاحمها وانسجامها مجتمعة مع بعضها البعض، ومن خصائصها أيضا تحقيق خاصيتي الانتظام والتماسك بين هذه الأجزاء، ومنه فإنّ «مفهوم البنية يتوقف على السياق بشكل واضح، ويميّز الباحثين بين نوعين من البنية من ناحية السياق، نوع يستخدم هذا المصطلح عن قصد وآخر عن غير قصد.»³

وهي عند زكريا إبراهيم: «نسق من التحولات له قوانينه الخاصّة، فالبنية تحمل طابع النسق أو النظام وتتألف من عناصر يكون من شأن أي تحول بعرض للواحد منها، وأن يحدث تحولا في باقي العناصر الأخرى.»⁴

وقد حاول بعض النقاد الآخرين تعريف البنية في الشعر - بالمفهوم العريض لهذه الكلمة المرادفة للأدب - بأنها جملة المبادئ التي تحكم عملية التولّد الشعري، بحيث يتبع كلّ عنصر عنصرا آخر، والبنية هي المصطلح الأعم الذي يتحدّد نتيجة لمبادئ أخرى ذات طابع شكلي موضوعي تتحكم في توليد وخلق

¹ صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص 121.

² نفسه، ص 122.

³ نفسه، ص 122.

⁴ زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة، مصر، (د.ط.)، (د.ت)، ص 42.

العمل الأدبي ويترتب عليها النظام الذي تتخذه الوحدات المكونة، أمّا الشكل فهو على هذا الاعتبار ليس سوى الهيكل الناجم عن قوانين الصياغة ومبادئ التكرار والقوالب التي توضع فيها عناصر معيّنة ويعود التمييز بينه وبين الموضوع إلى طبيعة المادة المزدوجة للأدب وهي اللغة، حيث نجد فيها جانبا طبيعيا يتصل بالظاهرة الصوتية وجانبا آخر رمزيا يتمثل في قدرة هذه المادة على إثارة تصورات ذهنية دلالية.¹

أمّا عند النقاد الغرب فقد كان للسانيات ديسوسير الدور الكبير في تحديد مفهوم البنية والبناء، حيث لفتت الإنتباه إلى بنية القصيدة من خلال التفكير في إيجاد لغة تتحرى العلمية في تحليل الأدب، وعلى هذا الأساس تقوم البنيوية بعزل النص عن كل ما هو خارج عنه في إطار بنيته الداخلية، وعليه فإنّ مفهوم البنية « يشكّل كلا المضمون والشكل بقدر ما ينظمان لأغراض جمالية، فالعمل الفني قد اعتبر إذا نظاما كليًا من الإشارات تخدم غرضا جماليا نوعيا.»²

ويقدّم العالم اللغوي الكبير "أندريه مارتينيت" تصورا للبنية يمكن أن يفيدنا في تحديد الأبنية الأدبية وإبراز طابعها التجريدي، فيقول إنه إذا كانت المعاجم خاصة "أوكسفورد" تنصّ على أنّ البنية هي كيفية بناء تركيب أية مجموعة فإنّ هذا لا يشير إلى عملية البناء نفسها، ولا إلى المواد التي تكونها، ولكنه يتعلق بكيفية تجميع وتآلف هذه المواد لتكوين الشيء وخلقه لأغراض ووظائف معينة. وعلى هذا فإنّ البنية إنّما هي تصور تجريدي من خلق الذهن وليست خاصية للشيء، فهي نموذج يقيّمه المحلّل عقليا ليفهم على ضوءه الشيء المدروس بطريقة أفضل وأوضح.³

ويرى "كلود ليفي شتراوس" أنّ: « البنية تحمل أولا وقبل كلّ شيء طابع النسق أو النظام، فالبنية تتألف من عناصر يكون من شأن أي تحول يعرض للواحد منها أن يحدث تحولا في باقي العناصر الأخرى.»⁴

¹ صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص 197.

² نفسه، ص 176.

³ نفسه، ص 196.

⁴ زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، ص 35.

وأما البنية عند "اللاندا" فهي نسق أو كل مؤلف من ظواهر متضافرة بحيث تكون كل ظاهرة فيها تابعة للظاهرة الأخرى، ولا يمكن أن تكون ما هي عليه إلا في علاقتها بتلك الظواهر.¹

كما يرى الناقد الفرنسي "بول فاليري" وهو من رواد المنهج البنائي في تحليل الشعر أن: «الأدب ليس إلا نوعاً من الإمتداد والتطبيق لبعض الخصائص اللغوية، ولا يمكن أن يكون شيئاً آخر، فهو يستخدم مثلاً الخصائص الصوتية والإمكانات الإيقاعية للكلام، مما يغفله القول العادي المؤلف، ولكن الأدب يصنّفها وينظّمها ويبني عليها استعمالاته الفنية، وهذا هو مجال الصور الفنية التي تنفصم عن الاستخدامات اللغوية.»²

ويرى أنه إذا كان النقد الحديث قد جنح إلى إغفال تحليل الاستعمالات اللغوية - التي كانت تسمى في البلاغة القديمة الوسائل البيانية من تشبيه واستعارة ومجاز وكناية - فإنه قد آن الأوان لكي ندرك الدور الرئيسي الذي تقوم به هذه الوسائل وبقية الخصائص التي تكشف بوضوح عن العبقرية الهندسية للشاعر وقدرته على خلق أدوات للفكر، فالشاعر يتحرّك دون أن يدرك في نظام من العلاقات والتحويلات الممكنة، ولا يتلقى أو يطارد منها إلا هذا التأثير العفوي الخاص الذي يتصل بحالة معينة من عملياته الداخلية الحميمية.³

وعلى ضوء ما طُرح نرى أنّ كلّ عمل أدبي يتأسس على بنية تربط بين أجزائه بشكل متماسك وموحد وهذا ما نجده في الشعر مثلاً، لأنّ منبع البنية هو ذلك التمازج و الانسجام الحاصل بين العناصر المشكلة للعمل الأدبي بشكل عام والعمل الشعري بشكل خاص.

¹ زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، ص 43.

² صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص 231.

³ ينظر، نفسه، ص 132.

ثانيا: البناء الفني

للبناء في المعاجم اللغوية دلالتان عامتان، فهو أولا يدلّ على الشيء المنجز والمتحقق في الوجود، وجمعه أبنية، وبهذا المعنى فإنّ مفهوم البناء يرادف مفهوم البنية التي تعني تلك المنظومة ذات العناصر المتفاعلة حيث كلّ عنصر يؤدّي وظيفة داخل المنظومة، وتحدّد قيمته بهذه الوظيفة.

والبناء بالمعنى المتقدم لا بدّ أن يتكون من شكل ظاهر للعيان، سنطلق عليه: البناء الخارجي، وشكل آخر غير ظاهر إنّما يعكس الشكل الخارجي ويدلّ عليه، وسنطلق عليه: البناء الداخلي، على أنّ التمييز بين دلالاتي البناء الداخلي أو الخارجي لم يكن واضحا تماما عند أصحاب المعاجم اللغوية ولا عند النقاد القدامى أو المحدثين، فقد يجد القارئ في كثير من المؤلفات التي تتحدّث عن بناء القصيدة لبسا كثيرا في مراد الكاتب وقصده لأي من المفاهيم يعني.

والمتتبع للمصطلحات الخاصة لبناء القصيدة يجدها كثيرة متداخلة متضاربة من أهمّها: بناء القصيدة البناء الفني، البناء الهيكلية، البناء الموضوعي، الوحدة الموضوعية، الوحدة العضوية، فضلا على عدد آخر من المفاهيم التي اعتاد عليها النقاد القدامى مثل: الصناعة، النسخ، عمود الشعر، وغيرها.¹

وبناء على ما تقدّم يعدّ البناء الفني عملية إبداع العمل الأدبي وإنشائه في شكل من الأشكال أو صورة من الصور، ومن نقادنا القدامى الذين أولوا عملية البناء الشعري اهتماما متزايدا نذكر ابن طباطبا الذي يقول: « إنّ الشاعر إذا أراد بناء قصيدة محض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا، وأعدّ له ما يلبسه من الألفاظ التي تطابقه والقوافي التي توافقه والوزن الذي يسلس له القول عليه، فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه أثبته، وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه، بل يعلق كل بيت يتفق له نظمه على تفاوت ما بينه وبين ما قبله، فإذا كملت له المعاني وكثرت الأبيات وفقّ بينها بأبيات تكون نظاما لها، وسلكا جامعا لما تشتت منها، ثم يتأمل ما قد أداه إليه طبعه ونتجته فكرته، يستقصي انتقاده، ويرمّم ما وهى منه.»²

¹ علي حسين يوسف عناد، (د.ت)، بناء القصيدة العربية بين الإشتراط والتوصيف، مجلة أهل البيت عليهم السلام، مجلة فصلية محكمة تصدر عن جامعة أهل البيت عليهم السلام، كربلاء، العراق، العدد 19، ص 403.

² محمد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، ص 11.

وفي هذا النص يقسم ابن طباطبا نظم القصيدة على عدّة مراحل هي: مرحلة كونها فكرة مجردة (نثرا)، ثم تشكيل الفكرة النثرية بقوالب الشعر وألفاظه وقوافيه وأوزانه، ثم التسلسل في الأبيات وتلاحمها، وأخيرا التهذيب وإعادة النظر في القصيدة. وقد كان لآراء ابن طباطبا في عملية الخلق الشعري تأثير على النقاد الذين جاؤوا بعده كأبي هلال العسكري الذي طابقه نفس الآراء فيقول: « وإذا أردت أن تعمل شعرا فأحضر المعاني التي تريد نظمها في فكرك، وأظهرها على قلبك، واطلب لها وزنا يتأني فيه إيرادها، وقافية يحتملها، فإذا عملت القصيدة فهذبها ونقحها حتى تستوي أجزاءها وتتضارع عواديها واعجازها.»

وهكذا نلاحظ أنّ البناء عند النقاد القدامى كثيرا ما أريد منه أمورا تعليمية تصبّ في إنجاح عملية الإبداع وكيفية تكوين القصيدة، ثم إنّ قلة النصوص النقدية التي تناولت المفهوم الأول للبناء من ناحية شكل القصيدة يفسر بأنّ أولئك النقاد اعتبروا أنّ شكل القصيدة العربية أمرا مفروغا منه تسالم عليه الناس، ولا حاجة للتفصيل فيه.¹

فالبناء الفني للقصيدة الشعرية من الناحية الشكلية فهي كما حدّدها الدكتور مجدّ عزام تنقسم لأربعة عناصر ويقول في ذلك: " كانت القصيدة العربية القديمة تتألف في بنيتها العامّة من أربعة عناصر فنية على الأقل وكل عنصر منها يشكّل موضوعا مستقلاّ ضمن القصيدة الواحدة، وهذه الموضوعات هي:

1- المقدمة الطللية: حيث يقف الشاعر على أطلال حبيبته واصفا، وقد يستوقف رفيقه ليشركه حزنه وأساها.

2- الغزل والنسيب: وفيه ينتقل الشاعر إلى رسم صورة للحبيبة النائبة.

3- وصف الرحلة، والراحلة، والصحراء، وما لاقاه الشاعر من حرّ الهاجرة، وقلة الزاد والماء، وما تعرّض له من مخاطر وأهوال في رحلته الطويلة في الصحراء لينتهي إلى الغرض.

4- الغرض: من مديح أو فخر أو هجاء، وهو غالبا ما يكون مديحا، لأنّ تصوير هذه المعاناة الإنسانية في اصطحاب الرفيق، والعاطفية في ذكر الحبيب، والحياتية في وصف متاعب الرحلة، إنّما تعتبر مدخلا إلى

¹ ينظر، علي حسين يوسف عناد، بناء القصيدة العربية بين الإشتراط والتوصيف، ص 406.

الطلب، ومقدمة أو ديباجة للغرض، ليستعظم الممدوح الجهد، فتعظم الجائزة.¹

والقصيدة الشعرية كما يقول شوقي ضيف: «هي بناء بكل ما تحمله كلمة بناء من معنى إنها عمل تام كامل ينقسم إلى وحدات تسمى أبياتا، ولكن كل بيت خاضع لما قبله، لا تجزئه عنه خنادق ولا ممرات فهو خيط في النسيج، يدخل في تكوينه، ويساعد على تشكيله، وليست القصيدة خواطر مبعثرة تتجمع في إطار موسيقي، إنما هي بنية نابضة بالحياة، بنية تتجمع فيها إحساسات الشاعر وذكرياته لتكون مزيجا لم يسبق إليه من الفكر والشعور. وهو مزيج مركب من حقائق كثيرة وجدانية وعقلية، ومهما تكن الحقائق التي تكونه فإنها لا تتباين، بل تتآلف وتتحد في تيار مغناطيسي يجذبها بعضها إلى بعض.»²

فشوقي ضيف هنا حدّد البناء الفني من ناحية الوحدة العضوية للقصيدة الشعرية، وفي ذلك يقول أيضا:

«إنّ القصيدة مجموعة من عناصر مترابطة متداخلة، تسوغها بصيرة الشاعر، لتصور خبرته ومعرفته إزاء حدث نفسي أو كوني أو يومي، حدث لا تزال نفسه تنفعل فيه، وتهتز إزاءه في خطوط واتجاهات مختلفة حتى تتدفق عليه الإحساسات، وقد أخذ بعضها برقاب بعض، إحساسات تصور صور صلة الشاعر بالحدث في حقيقته الجزئية، وصلته به من خلال حقائق الكون الشاملة، وبذلك تصبح القصيدة عملا شعريا تاما، فهي ليست مجرد أفكار تجمع من هنا وهناك، وإنما هي خبرة تامة للشاعر بمجموعة من المشاعر والأفكار والأحاسيس من خلال موضوع معيّن من موضوعات الحياة.»³

والبناء الفني حسب رأي "كروتشه" لا يقوم في مضمون معيّن ولا في شكل محدّد بالذات، وإنما يقوم في الرابطة بين المضمون والشكل معا، وعنده لا يوجد أي موضوع فني خارج الوحدة العضوية بين الخيال والعاطفة، والصورة الخالية من العاطفة هي شكل خاو، والعاطفة بدون صورة هي مادة عمياء، وكذلك يرى أنّ البناء الفني في حاجة ماسّة إلى صناعة فنية (تكتيك)، إذ ثمة صعوبات فيزيائية لا بدّ للفنان أن يتغلّب عليها أثناء التعبير عن عواطفه.⁴

¹ محمد عزام، بناء القصيدة التقليدية، الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ع 102، أكتوبر، 1979، ص 205.

² شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة التاسعة، (د.ت)، ص 153.

³ نفسه، 153.

⁴ ينظر، عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 4، 1984، ج 2، ص 259.

الفصل الأول

ماهية غرض المدح

أولاً: مفهوم فن المدح

ثانياً: المدح في الشعر العربي القديم (العصر الجاهلي وعصر

صدر الإسلام)

ثالثاً: مضامين شعر المدح عند حسان بن ثابت

الفصل الأول: ماهية غرض المدح

أولاً: مفهوم المدح:

أ- لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: « المدحُ نقيض الهجاء وهو حسن الثناء، يقال: مدحته مدحة واحدة ومدَّحه بمدَّحُه مدَّحًا ومدَّحَةً، هذا قول بعضهم، والصحيح أن المدح المصدر، والمدَّحة الاسم والجمع مدَّحٌ وهو المديحُ والجمع المدائِحُ والأُمادِيحُ.

والمدائِح: جمع المديح من الشعر الذي مدح به كالمُدَّحة والأُمُدَّوْحَة، ورجل مَدَّحٌ من قوم مُدَّحٍ ومَدَّيْحٍ وممدَّوْحٌ، ومدَّح الرجل: تكلف أن يمدح، ورجل ممدح أي ممدوح جدا، ومدح للمثني لا غير، ومدح الشاعر وامتدح، ومدَّح الرجل بما ليس عنده: تشبَّع وافتخر ويقال: فلان يتمدح إذا كان يقرظ نفسه ويثني عليها والممداح: ضد المقابح.¹

كما جاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي: « مدَّحه، كمنعه، مدَّحًا ومدَّحَةً، أحسن الثناء عليه، كمدَّحُه وامتدَّحُه وتمدَّحُه، والمديحُ والمدَّحَةُ والأُمُدَّوْحَةُ: ما يُمدَّحُ به، ج: مدائِحُ وأُمادِيحُ، ومُدَّحٌ كمحمد: ممدوح جدا، وتمدَّح: تكلف أن يمدح، وافتخر، وتشبَّع بما ليس عنده.²

ونجد في المصباح المنير للفيومي: « مدح مدحته مدحًا من باب (نفع) أثبت عليه بما فيه من الصفات الجميلة، خَلْقِيَّةٌ كانت أو اختياريَّة، ولهذا كان المدح أعمَّ من الحمد، قال الخطيب التبريزي: المدح من قولهم: انمدحت الأرض إذا اتسعت، فكأنَّ معنى مدحته وسَّعت شكره.³

¹ ابن منظور، لسان العرب، ج 6، مادة (مدح)، ص 27.

² مجد الدين مُجَّد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 245.

³ أحمد بن مُجَّد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 2، (د.ت)، مادة (مدح)، ص 216.

وهكذا نخلص إلى أنّ المدح كما رأينا في معاجم اللغة هو حسن الثناء، جوهره الشكر والتنويه بشمائل ومناقب الممدوح.

ب- اصطلاحاً:

هو غرض من أغراض الشعر يقوم على عاطفة الإعجاب، ويعبّر عن شعور تجاه فرد من الأفراد، أو جماعة أو هيئة ملك على الشاعر إحساسه، وأثار في نفسه روح الإكبار والاحترام لمن جعله موضع مديحه، وفي هذا الفن من الشعر تعداد للمزايا الجميلة، ووصف للشمائل الكريمة، وإظهار للتقدير العظيم الذي يكتنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا وعرفوا بمثل هاتيك الصفات والشمائل.¹

وفي المعجم المفصل في اللغة والأدب: «المدح في الأصل تعبيرٌ عن إعجاب المادح بصفات مثالية، ومزايا إنسانية رفيعة، تحلّى بها شخص من الأشخاص، أو تتجلى في مآثر قوم، أو في مآتي أمة من الأمم وشعب من الشعوب، وأفضل المدح ما صدر عن صدق عاطفة، وحقيقة واقعة، لا يكذب فيه الشاعر ولا يباليغ طمعا بكسب يناله، ومكانة يسعى إليها. وأجمل المدح ما ابتعد عن تمجيد الإمتيازات المادية التي يتمتّع بها الممدوح كنعمة الثراء وقوة البنية، وغير ذلك مما لا فضل له به، ولا قدوة للناس من وراءه.

وأجود المدح وأبقاه ما أخلص فيه الشاعر لنفسه، ولحقيقة ممدوحه، ولخير مجتمعه، تمجيدا للفضائل الخلقية وتعزيزا للمآثر الإنسانية، وترسيخا للصفات النادرة كالشجاعة والكرم والوفاء والتضحية والعدل وسواها مما يسموا به الإنسان، وتزدهر به الأمم وتتقدم.²»

ويعتبر المدح من الأغراض الشعرية الأساسية التي تناولتها القصيدة العربية وفي ذلك يقول قدامة بن جعفر: "إن القصيدة العربية تناولت أغراضاً أربعة وهي: المدح والهجاء والحكمة واللهو، ثم يتفرع من كل صنف منها فروع له، فيكون من المدح المراثي والافتخار والشكر واللفظ في المسألة، ويكون من الهجاء

¹ إميل ناصيف، أروع ما قيل في المدح، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1413 هـ-1992م، ص 9.

² أميل بديع يعقوب وميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، مج 1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 1987، ص 1133.

الذم والعتب، ويكون من الحكمة الأمثال والتزهيد والمواعظ وما شاكل ذلك من نوعه، ويكون من اللهو الطرب وصفة الخمر والمجون وما أشبه ذلك وقاربه.¹

ويقول بن رشيق القيرواني: " قوام الشعر كلّ نوعان: مدح وهجاء، فألى المدح يرجع الرثاء والإفتخار والنسيب، وما تعلق بذلك من محمود الوصف، كصفات الحمول والآثار والتشبيهات الحسان، وكذلك تحسين الأخلاق كالأمثال والحكم والمواعظ والزهد في الدنيا والقناعة، والهجاء ضدّ ذلك كله."²

والمدح من أقدم الفنون الأدبية رافق الشعر منذ نشأته الأولى، فعلى الرغم من التطورات التي طرأت على العملية الشعرية ومن التبديل الذي أصاب الشعر من حيث المفاهيم والمقاييس، فإنّ المديح لم يغيب في يوم من الأيام عن مسرح الشعر.³

فمنذ فجر التاريخ أحس الإنسان بالفوارق الاجتماعية بينه وبين أخيه الإنسان، وشعر باختلاف المواهب والقيم عند الناس ورأى الأقدار تضع وترفع وتعطي وتمنع، لذلك سعى إلى رضى من هم فوقه، وتحمّل حيالهم بالقول، فوقف موقف الاحترام والتودّد، فكانت أقوالهم تعبر عن المديح، وسواء أكان هذا المديح صادرا عن قرارة نفسه أم من أطراف لسانه فهو يقرّ بالرياسة والزعامة لمن يتصور أنهم سبقوه بالغنى والشجاعة والقوة والفهم والذكاء، فهو يشترك مع الناس جميعا في النظر إلى الزعيم والقائد والوجيه والعالم، والغني والسيد والأمير نظرة خاصّة ويشترك معهم كذلك في مديح هؤلاء حين يعرض له القول أو يتصدّى للحديث والبيان شعرا ونثرا.⁴

ونجد أنّ ابن طباطبا العلوي قد أشار إلى الفضائل الإنسانية التي اعتادت العرب أن تمتدح بها في الشعر فيقول: « وأما ما وجدته في أخلاقها وما مدحت به سواها، وذمّت من كان على ضد حاله فيه فخلال مشهورة كثيرة: منها في الخلق الجمال والبسطة، ومنها في الخلق السخاء والشجاعة، والحلم والحزم والعزم والوفاء والعفاف، والبرّ، والعقل، والأمانة، والقناعة، والغيرة، والصدق، والصبر، والشكر، وكنتم السرّ

¹ أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)، 1400هـ-1980م، ص 81.

² أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، ص 195.

³ إميل ناصيف، أروع ما قيل في المديح، ص 11.

⁴ سامي الدهان، المديح، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 5، 1980، ص 5.

والأنفة وما يتفرّع من هذه الخلال التي ذكرناها من قرى الأضياف، وحمل المغارم، وقمع الأعداء، ورعاية العهد وغيرها.¹

وأما قدامة بن جعفر فيرى أن المدح: « ينبغي أن يعول على الفضائل النفسية فحسب، لأنّ الناس ينبغي أن تتفاضل من حيث هم ناس، لا من حيث ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان، وذهب إلى أنّ جماع هذه الفضائل ينحصر في أربع هي: العقل والعفة والعدل والشجاعة، كما تحدّث عن أقسام هذه الفضائل وأضاف تركيب بعضها مع بعض، فمن أقسام العقل مثلاً: ثقافة المعرفة والبيان والسياسة والعلم والحلم وغير ذلك مما يجري هذا المجرى، ومن أقسام العفة: القناعة وقلة الشره وقلة الإزار وغير ذلك ممّا يجري مجراه، ومن أقسام الشجاعة: الحماية والدفاع والأخذ بالثأر وغيرها، ومن أقسام العدل: السماحة وإجابة السائل وقرى الأضياف وما جانس ذلك، وأما عن تركيب بعضها مع بعض فينتج مثلاً إذا ركب العقل مع الشجاعة صفات كالصبر على الملمات ونوازل الخطوب، والوفاء، وهكذا دواليك.²»

وابن رشيق في العمدة يشترط: «بأنّ الشاعر إذا مدح أن يسلك طريقة الإفصاح والإشادة بذكر الممدوح وأن يجعل معانيه جزلة، وألفاظه نقيّة، غير مبتدلة سوقية، ويجتنب مع ذلك التقعر والتجاوز والتطويل فنجد مثلاً البحتري إذا مدح خليفة يقلّل الأبيات، ويبرز وجوه المعاني، فهو إذا مدح عمل طاقته وبلغ مراده.

وقد حكى عن عمارة أنّ جدّه جريراً قال: يا بنيّ، إذا مدحتهم فلا تطيلوا الممدوحة، فإنه ينسى أولها، ولا يحفظ آخرها، وإذا هجوتهم فخالفوا.³»

ومن خلال حديث ابن رشيق نجد بأنّ المدح يعتمد على جزالة المعاني والألفاظ، واجتناب الإطناب ومنه فإنّ غرض المدح يختلف من شاعر لآخر وذلك حسب القدرات والميول والطريقة في المدح.

¹ محمد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، ص 18.

² ينظر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص 96، 97.

³ أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، ص 796.

مفهوم المدح النبوي:

المدح النبوي فن من فنون الشعر، ولون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع، لأنه لا يصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص.¹

كما أنّ المدح النبوي عبارة عن قصائد يقوم فيها الشاعر بمدح النبي ﷺ، وتعداد صفاته الخلقية والخلقية، وذكر معجزاته، ونظم سيرته شعرا، والصلاة عليه تعظيما وتقديرا، وهو يختلف عن سائر أنواع المدح لأنه ينبعث من قلب صادق مؤمن لا تشوبه أيّ من الرغبات الدنيوية كالتكسب أو الطمع في قضاء بعض المصالح والأهواء الشخصية، بل يكون الدافع إلى ذلك التقرب من الله سبحانه وتعالى وطلب مغفرته والدفاع عن الدين الحنيف، والإشادة بشخصية الرسول عليه الصلاة والسلام الذي يعتبر أفضل وأروع نموذج للشخصية المثالية.

ومن شعراء المدح في حياة النبي ﷺ حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن زهير، وهم من أنزلهم الرسول الكريم منزلة عالية في نفسه ويعلق عليهم كبير الاهتمام، وهذا سعى لهم شهرة عبر العصور، وكانت قصائدهم تحمل من الحركة الداخلية (تألما، وتذكرا، وتخيلا، وتخطّ للعوائق وتمجيذا للرسول وصفاته معنويا وماديا، وذكر سيرته، وما يؤمل منه ويرجى في قضاء حوائج دنيوية وأخروية)، وقد ارتبط مديحهم في هذه الفترة بأحداث الغزوات والحروب كوقعة بدر ووقعة أحد ووقعة الأحزاب وأحداث أخرى، وهنا دار المدح حول الرسول القائد الشجاع المقدم، وحول رثاء شهداء هذه الأحداث وهجاء الكافرين في وقت واحد.²

وقد أشار بعض الدارسين إلى أمر بالغ الأهمية يتعلّق بنظرهم لمراثي الرسول ﷺ على أنها مدائح نبوية في الأصل، وفي ذلك يقول الدكتور زكي مبارك: "وأكثر المدائح النبوية قيل بعد وفاة الرسول ﷺ، وما يقال بعد الوفاة يسمّى رثاء، ولكنه في الرسول ﷺ مدحا، وكأنهم لحظوا أنّ الرسول ﷺ موصول بالحياة، وأنهم يخاطبونه كما يخاطبون الأحياء، ولذلك نراهم يقولون: (قال حسان بن ثابت يرثي الرسول ﷺ)، ليفرقوا

¹ زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط.)، 1992م، ص 17.

² جمال رقاب، بناء القصيدة في شعر ابن الخلف القسنطيني، ص 9.

بين حالين من الثناء، ما كان في حياة الرسول ﷺ، وما كان بعد موته ﷺ. بخلاف ما يقع من شاعر ولد بعد وفاة النبي ﷺ فإنّ ثنائه عليه مديح لا رثاء، لأنه لا موجب للتفرقة بين حال وحال، ولأن يقصد به إعلان التحزن والتفجع، على حين لا يراد بالمدائح النبوية إلا التقرب إلى الله بنشر محاسن الدين، والثناء على شمائل الرسول. ¹

فالرثاء في رأي الدكتور زكي مبارك هو مدح، وإنما قيل رثاء من حيث التفریق فقط بين حالين من الثناء: ما كان في حياة الرسول ﷺ، وما كان بعد موته.

ثانيا: المدح في الشعر العربي القديم الجاهلي والإسلامي

1- المدح في العصر الجاهلي:

لقد نشأ المدح عند العرب في أول الأمر إعجابا بالفضيلة وثناء على صاحبها، واهتزازا أمام النبل، وإكبارا للمروءة والشجاعة، وقد كان لطبيعة الحياة الجاهلية ونظم المعيشة آنذاك أبلغ الأثر في شيوع هذا الفن وانتشاره، والإنسان بالفطرة يجب الإطراء مهما يكن قسطه من الفهم والعظمة، ومفطور على المجاملة تقربا من الناس واكتسابا لودهم. ²

يقول الدكتور شوقي ضيف: إنّ الشعراء الجاهليين كان عندهم مديح واسع يمتدحون فيه مناقب قبائلهم وساداتهم، وكانوا كثيرا ما يمدحون القبيلة التي يجدون فيها كرم الجود متحدثين عن عزتها، وإبائها وشجاعة أبنائها وما فيهم من فتك بأعدائهم وإكرام لضيوفهم ورعاية لحقوق جيرانهم، وكان بعض السادة يمتد ماثرهم إلى من حولهم من القبائل فكان يتصدى لهم شعراؤها يمدحونهم بمكرماتهم التي أدوها. ³

ومن عوامل انتشار المديح في مجتمعات الصحراء تلك المقدّسات التي كانوا يلتزمون بها من ضيافة ونجدة وحسن جوار وثأر والتي كان يلتزم بها كلّ عربيّ، وكان قضاء هذه الموجبات يترجم في معظم الأحيان مديحا للغير أو فخرا بالذات، ونتيجة لذلك كان المديح في أول عهده مدرسة أخلاق تعمل على بلورة

¹ زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، ص 17.

² إميل ناصيف، أروع ما قيل في المديح، ص 11.

³ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 11، (د.ت)، ص 21.

المثل العليا وترسيخها، وحضّ الناس على تشجيعها، وعندما يتوجهون إلى ممدوح تتوافر فيه هذه الفضائل إنّما يجعلونه مثلاً يُحتذى به.

وخير دليل على ابتعاد ذلك الشعر عن المادّة ديوان زهير بن أبي سلمى الذي يدور أكثره على مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف وغيرهما لوقفهما حرب داحس والغبراء بين قبيلتي عبس وذبيان ودفعهما ديات القتلى من الطرفين.¹

ولم يتحوّل الشعر إلى أداة للتكسّب إلّا حين لّدّ لجماعة من الممدوحين أن يقال فيهم ما يرضي كبرياءهم وغرورهم ويستجيب لنزواتهم الأنانية، فعمدوا إلى الأموال والهدايا يغدقونها على الشعراء يستحثون قرائحهم لنظم الأشعار في التغني بأعمالهم، وكان نتيجة لذلك أن ذاق الشعراء حلاوة العطاء فانشغلوا به عن كلّ شيء، وسهّل عليهم أن ينظموا قصيدة من بضعة أبيات من الشعر ليتقاضوا لقاءها مبلغاً من المال يسدّ حاجتهم لفترة طويلة.²

ويعدّ النابغة الذبياني كبير شعراء التكسّب في العصر الجاهلي، فقد سنّ للشعراء من بعده سنن المديح حينما يتطلعون إلى الملوك، ومن هؤلاء الشعراء نذكر أمية بن أبي الصلت، والأعشى وغيره، فأصبح المديح تجارة بين الناس وحرفة لاكتساب المال.

وفي ذلك يقول بن رشيق القيرواني: "وكانت العرب لا تتكسّب بالشعر، وإنّما يصنع أحدهم ما يصنع منه مكافأة عن يد لا يستطيع أداء حقها إلّا بالشكر إعظاماً لها، حتى نشأ النابغة الذبياني، فمدح الملوك وقبل الصلّة على الشعر وخضع للنعمان بن المنذر، وكان قادراً على الامتناع منه بمن حوله من عشيرته أو بمن صار إليه من ملوك غسان، فسقطت منزلته، وتكسّب مالا جسيماً، حتى كان أكله وشرابه في صحاف الذهب والفضّة وأوانيها من عطاء الملوك."³

¹ ينظر، ، إميل ناصيف، أروع ما قيل في المديح، ص 12، 13.

² نفسه، ص 14.

³ أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، ص 119.

وهكذا فإنّ المدح من أقدم الأغراض الشعرية التي عرفها العرب منذ الأزل، وقد اختلف من شاعر لآخر وذلك حسب المواقف والرغبات، فهناك من يثني على ممدوحه إعجاباً بصفاته وخصاله الحميدة وهناك من يمدح بهدف الشكر على معروف ما، وهناك من يلجأ إلى المدح بهدف التكبّب وجني الأموال والعطايا.

2- المدح في صدر الإسلام:

وبمجيء الإسلام خفت الشعر بصورة عامّة، عدا شعر الكافرين الذين راحوا يناضلون الرسول فاضطرّ النبي إلى الردّ عليهم بسلاحهم، فكان حسان بن ثابت من الشعراء الذين تبعوه ووقفوا إلى جانبه مدافعين عنه وعن الدين الجديد، فقد رفض النبي ﷺ أن يمدحه الشعراء إلاّ بما يتّصف به ويدعوا الناس إلى اعتناقه من فضائل تصبّ في خدمة الدين ومصلحة الرسالة التي نذر نفسه لأدائها، فالمديح مقبول برأي النبي ما دام صادقاً ويرمي إلى غاية سامية وما دام لا ينجم عنه إلاّ الخير، أمّا إذا تحوّل إلى نفاق فأقلّ ما يستحقّه المدّاح هو أن يحثى في وجهه التراب.¹

وهكذا كان الشاعر المتكسب محتقراً في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، فكان عمر بن الخطاب لا يكثر للمديح وقد صرف همه إلى تركيز الوحدة القومية والخروج بها وبالدين إلى ما وراء حدود الجزيرة العربية، وكان علي بن أبي طالب لا يرضى التزلف الذي يأتيه الشعراء في مدائحهم، وهو القائل لأحدهم وقد أطال في الكلام وأثنى: «يا هذا أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك».

وكان الخلفاء الراشدون يرون أنّ قيمة الشعر لا تقدّر بمال، ويدلّ على ذلك ما ذكر عن عمر بن الخطاب من أنه لقي ذات يوم ابنة الشاعر زهير بن أبي سلمى فسألها: «ما فعلتِ بحلل هرم بن سنان التي كساها أباك؟» فقالت: «لقد أبلاها الدهر» قال: «ولكن ما كساه أبوك لهرم لم يبيله الدهر». كما ذكر عنه أيضاً جوابه لأحد أولاد هرم وقد زعم أنهم كانوا يجزلون العطاء لزهير: «ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم».²

¹ إميل ناصيف، أروع ما قيل في المديح، ص 14.

² نفسه، ص 15.

غير أنّ الشعراء لم يتطوّروا بشعرهم في عصر الإسلام إلا تطوراً محدوداً، وكأثماً عاقتهم الصورة القديمة التي ألفوها في صناعة الشعر، فظلّوا ينظمونه بنفس الطريقة التي كانوا ينظمون بها في الجاهلية، فجاء التأثير بالإسلام في الشعر تأثيراً محدوداً في معانيه.

ولعلنا نفهم من هذا السبب الذي دفع ابن سلام في طبقاته لوضع الشعراء المخضرمين في طبقات الجاهليين، ولم يفرد لهم طبقة خاصة، إذ لم يجد ما يفصلهم عن أسلافهم الجاهليين فصلاً كبيراً واضحاً.¹

ولذلك نرى أنّ قصيدة المدح في هذا العصر هي امتداد لقصيدة المدح في العصر الجاهلي، غير أنّ الإسلام قد حدّ من بعض الظواهر مثل النزعات العصبية والقبلية وجاء بمعان إسلامية جديدة، فانصبغ هذا الغرض بصبغة الإسلام في ألفاظه ومعانيه وأساليبه، وظهر شعر مديح النبي ﷺ، فاتجه الشعراء إلى مدحه والثناء على هذا الدين الجديد وحثّ الناس للدخول فيه.

وتعود أشعار المديح إلى بداية الدعوة الإسلامية مع قصيدة "طلع البدر علينا"، وقصائد شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن زهير صاحب اللامية المشهورة:

بانَتْ سَعَادُ فقلبي اليَوْمَ مَتَّبُولُ متيّمٍ إثرها لم يفد مكبولُ

وقد استحقت هذه القصيدة المدحية المباركة أن تسمى بالبردة النبوية، لأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كسا صاحبها بردة مطهرة تكريماً له، وتشجيعاً للشعر الإسلامي الملتزم الذي ينافح عن الحق وينصر الإسلام وينشر الدين الرباني، وهناك العديد من القصائد الشعرية في هذا المجال كالقصيدة الدالية للأعشى التي مطلعها:

ألم تَعْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرَمَدَا وعَادَكَ مَا عَادَ السَّلِيمِ الْمِسْهَدَا

ومن أهم قصائد حسان بن ثابت في مدح النبي الكريم عينيته المشهورة في الرد على خطيب قريش عطارذ بن حاجب التي مطلعها:

¹ شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 2، (د.ت)، ص 23.

إِنَّ الدَّوَابَّ مِنْ فَهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ قَدْ بَيَّنَّا سَنَةَ لِلنَّاسِ تَتَّبِعُ

ولا ننسى همزيتة المشهورة في تصوير بسالة المسلمين ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم والإشادة بالمهاجرين والأنصار والتي مطلعها:

عَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءُ إِلَى عَذْرَاءٍ مَنْزِلَهَا حَلَاءُ¹

وهكذا لم يبق المدح على الصورة التي كان عليها في الجاهلية ذلك أنّ الشعراء قد ابتعدوا كل البعد عن ما ينافي الدين الإسلامي وتعاليمه السمحة، وسقطت كلّ دواعي هذا الغرض الشعري من التكسب وروح العصبية وغيرها، وأصبح مدحا صادق العاطفة مغمورا بالإيمان ومجد الإسلام.

ثالثا: مضامين شعر المدح عند حسان بن ثابت

ينحصر المدح في شعر حسان بن ثابت بين مدحه للملوك في جاهليته، ومدحه للرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وكبار الصحابة رضوان الله عليهم في إسلامه.

1/مدحه للملوك الغساسنة والمناذرة:

كان لحسان بن ثابت في جاهليته اتصال وطيد مع الغساسنة ملوك جَلِّق، فكان يمدحهم بشعره ويتقاسم هو والنابغة الذبياني وعلقمة الفحل وغيرهم من شعراء البلاط أعطيات بني غسان، فقد نال منهم الكثير من الهدايا والأموال، حتى أنهم جعلوا له مرتباً سنوياً، وقد طابت لحسان الحياة في ظلّ تلك النعمة وكان يستدرّ كلّ ذلك العطاء بشعره:

لَلَّهِ دُرٌّ عَصَابَةٌ نَادِمْتَهُمْ يَوْمًا بِجَلِّقٍ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

يَمْشُونَ فِي الْخُلَلِ الْمُضَاعَفِ نَسْجُهَا مَشَى الْجَمَالِ إِلَى الْجَمَالِ الْبَزْلِ

الضَّارِثُونَ الْكَبْسَ يَبْرُقُ بِيضُهُ ضَرْبًا يَطِيحُ لَهُ بَنَانُ الْمَفْصَلِ

¹ السعيد قوراري، المدائح النبوية في الشعر الأندلسي في القرن الثامن الهجري، لسان الدين بن الخطيب وابن جابر نموذجاً، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2016-2017م، ص 33، 32.

والخالطونَ فقيرهمُ بغنيهم
والمنعمونَ على الضعيفِ المرملِ
يُغشون حتى ما تهرّ كلابهم
لا يسألون عن السواد المقبل
يسقون من ورد البريص عليهم
بردى يصقّق بالرحيق السلسل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم
شمّ الأنوف من الطراز الأول

وحيثما يمدح حسان الغساسنة، فإنه لا يمدحهم ليأخذ عطاءهم فحسب، ولكنه يمدحهم ليفتخر بهم لأنهم أخواله الذين استطاعوا أن يبنوا لهم مجدا، فمدحهم مجده، وذكر محامدهم فخر له، حيث يقول:

ربّ خال لي لو أبصرته سبط الكفّين في اليوم الخصر¹

وقال يمدح جبلة بن الأيهم وهو من آل جفنة آخر ملوك الغساسنة في بادية الشام (من الخفيف)²

لمن الدائر أوحشت بمعان
بين أعلا اليرموك فالخمان
فالقريّات من بلاس فداريّا
فسكّاء فالقصور الدواني
فقفا جاسم فأودية الصفر
مغنى قبائل وهجان
تلك دار العزيز بعد أنيس
وحلول عزيمة الأركان
تكلت أمهم وقد تكلتهم
يوم حلّوا بحارث الجولان
قددنا الفصح فالولائد ينظمن
سراعا أكّلة المرجان
يجتنين الجادي في ثقب الريط
عليها مجاسد الكتان
لم يُعلّلن بالمغافر والصمغ
ولا نقف حنظل الشريان

¹ ينظر، حسان بن ثابت، الديوان، شرحه وكتب هوامشه وقدم له الأستاذ عبد أ. مهنا، منشورات مجّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1425هـ-2004م، ص 11.

² نفسه، ص 247.

ذَاكَ مَعْنَى مِنْ آلِ جَفْنَةَ فِي الدَّهْرِ وَحَقُّ تَعَاقُبِ الأَزْمَانِ
قَدْ أَرَانِي هُنَاكَ حَقًّا مَكِينًا عِنْدَ ذِي النَّجَاحِ مَجْلِسِي وَمَكَانِي

ثم اتصل حسان ببلاط الحيرة وعليها أبو قابوس النعمان بن المنذر الرابع، فحلّ محلّ النابغة حين كان في خلاف مع النعمان إلى أن عاد في ظلّ أبي قابوس النعمان فتركه حسان مكرها.

ولعلّ أفضل ما قاله في مدحه للنعمان بن المنذر قصيدته التي يصفه فيها بأنه بحر من الكرم والوجود ويفتخر فيها بزيارته له وقربه منه فيقول: (من الطويل)¹

وَإِنِّي لِمَزْجَاءِ المَطِيِّ عَلَى الوَجَى وَإِنِّي لَتَرَاكُ الفَرَاشِ المَمَهَّدِ
وَأَعْمَلُ ذَاتَ اللُّوْثِ حَتَّى أُرَدَّهَا إِذَا حُلَّ عَنْهَا رَحْلُهَا لَمْ تَقِيدِ
أَكَلَّفَهَا أَنْ تَدْلَجَ اللَّيْلُ كَلِّه تَرُوحُ إِلَى بَابِ بَنِ سَلْمَى وَتَعْتَدِي
وَأَلْفَيْتُهُ بِحَرًّا كَثِيرًا فَضُولُهُ جَوَادًا مَتَى يَذْكَرُ لَهُ الخَيْرُ يَزِدُّ

ويبدو من خلال بعض الروايات أنه كان ميّالا للغساسنة أكثر منه للمناذرة، فقد روي أنه زار ذات يوم الحارث بن أبي شمر الغساني (وهو من أمراء غسان في أطراف الشام) وكان النعمان بن المنذر اللّخمي يساميه فقال له وهو عنده: يا ابن الفريعة لقد نبئت أنك تفضّل النعمان عليّ. فقال: وكيف أفضّله عليك فوالله لقفاك أحسن من وجهه، ولأتمك أشرف من أبيه، ولأبوك أشرف من جميع قومه، ولشمالك أجود من يمينه، ولحرمانك أنفع من نداءه، ولقليلك أكثر من كثيره، ولثمادك أشرع من غديره، ولكرسيك أرفع من سريره، ولجدولك أغور من بحره، وليومك أطول من شهره، ولشهرك أمدّ من حوله، ولحولك خير من حقه، ولزندق أورى من زنده، ولجندك أعزّ من جنده، وإنك من غسان وإنه من لحم فكيف أفضّله عليك وأعدله بك؟ فقال: يا ابن الفريعة هذا لا يسمع إلّا في شعر.²

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 82.

² نفسه، 109.

فقال: (من المتقارب)¹

نُبئتُ أنّ أبا مُنذرٍ يُساميكَ للحارثِ الأصغرِ
فَقَاكَ أَحْسَنُ من وجهه وأمّك خيرٌ من المنذرِ
ويُسرى يديك على عُسرِها كيمنى يديه على المعسرِ
وشتّانَ بينكما في الندى وفي البأسِ والخيرِ والمنظرِ

2/مدحه للعزة الإلهية:

بعد مجيء الإسلام سار الشعراء المسلمون في تقديس الله عزّ وجلّ لما رأوه في سرّ خلقه للطبيعة والكون فراحوا يكثرون من ذكره، ويعترفون بفضله، وبيان معجزاته، كما تأثروا بالقرآن الكريم أيّما تأثر فأصبحوا يوظفون أساليبه ومعانيه في أشعارهم، ويعدّ حسان بن ثابت أول الشعراء المسلمين الذين نظموا في مدح الإله، وله في ذلك أبيات كثيرة تبرز عظمة الخالق وصفاته سبحانه وتعالى، وفي ذلك يقول:

(من الطويل)²

وأنتَ إله الخلقِ ربّي وخالقي بذلك ما عمّرتُ في الناسِ أشهدُ
تَعَالَيْتَ رَبَّ النَّاسِ عن قَوْلِ من دعا سِوَاكَ إلهًا، أنتَ أعلى وأجْدُ
لكَ الخلقِ والنعماءِ والأمرُ كلُّه فإيّاكَ نَسْتَهدي، وإيّاكَ نَعْبُدُ

ويناجي ربّه بأبيات جليّة يسأله الجنة فيقول: (من الكامل)³

يا ربِّ فاجمعنا معاً ونبيّننا في جنّةٍ تثنّي عُيونُ الحسّدِ
في جنّةِ الفردوسِ فاكتبها لنا يا ذا الجلالِ وذا العلا والسّوددِ

¹ نفسه، ص 110.

² حسان بن ثابت، الديوان، ص 55.

³ نفسه، ص 66.

ويقرّ بفضل الله ونصرته للمؤمنين فيقول: (من الكامل)¹

وكفى الإله المؤمنين قتالهم وأثأبهم في الأجر خير ثواب

من بعد ما قنطوا، ففرج عنهم تنزيل نصّ مليكنا الوهاب

وأقرّ عين محمدٍ وصحابه وأذلّ كلّ مكذبٍ مراتب

وكذلك يقرّ بتوحيد الله عزّ وجلّ بقوله: (من الطويل)²

ونعلم أنّ الله لا ربّ غيره وأنّ كتاب الله أصبح هاديا

3/مدحه للرسول ﷺ:

بعد أن ظلّ الرسول ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى الدّين الجديد فيلاقي هو وأصحابه من تعنت قريش وعنادهم بلاء كبيرا، كانت هجرته إلى يثرب التي أصبحت تدعى "مدينة الرسول" مفتح طور جديد في تاريخ الإسلام، إذ التفّ حوله أهلها ولم يمض وقت قليل حتى اعتنق معظم أهلها الإسلام في صدق وإخلاص، على أنّ المعركة ظلّت حامية الوطيس بين المسلمين من جهة وقريش ومن والاهم من قبائل العرب من جهة أخرى، وكان سلاح الشعر من أمضى الأسلحة في هذه المعركة، فقد عمد شعراء قريش من المشركين إلى هجاء الرسول ﷺ وأصحابه من المهاجرين ومن آواهم من الأنصار، وكان من أبرز هؤلاء الشعراء أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، فاستأذن بعض المسلمين الرسول ﷺ في الردّ على هؤلاء إذ يؤثّر عنه قوله ﷺ: (ما يمنع القوم الذين نصرُوا رسول الله ﷺ بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟)، فقال حسان بن ثابت: «أنا لها»، ومنذ هذه اللحظة أصبح حسان شاعر الرسول الأول وأبرز المدافعين عن قضية الإسلام.³

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 23.

² نفسه، ص 254.

³ محمود علي مكّي، المدائح النبوية، دار نوبار للطباعة، الشركة المصرية العالمية للنشر لوّنجمان، الجيزة، مصر، ط 1، 1991م، ص

فبعد أن دخل حسان بن ثابت الإسلام وتذوق حلاوته كرس شعره لمديح النبي ﷺ والدفاع عن الإسلام والمسلمين والردّ على هجمات المشركين اللسانية وهجائهم، ومن أجمل الأبيات التي قالها في مدح المصطفى ﷺ قوله: (من الوافر)¹

وأحسنُ منك لم تر قطُّ عيني وأجملُ منك لم تلد النساءُ

خلقت مبرأً من كلِّ عيب كأنك قد خلقت كما تشاءُ

وقوله مشيداً بماثره: (من البسيط)²

أعني الرسول فإنَّ الله فضَّلهُ على البرية بالتقوى وبالجودِ

فينا الرسولُ وفينا الحقُّ نتبعهُ حتى الممات ونصرٌ غيرُ محدودِ

مُستعصمين بجبلٍ غير منجذمٍ مُستحكِمٍ من حبال الله ممدودِ

ماضٍ على الهول ركابٌ لما قطعوا إذا الكماتة تحاموا في الصناديدِ

وافٍ وماضٍ شهابٌ يستضاءُ به بدرٌ أنارَ على كلِّ الأماجيدِ

مباركٌ كضياءِ البدر صورتهُ ما قال كان قضاء غير مردودِ

وقوله يصفه بصفات الجمال والإجلال: (من الطويل)³

أَعْرُ عَلَيْهِ لِلنَّبُوءَةِ حَاسِمٌ مِنْ اللَّهِ مَشْهُودٌ يُلُوحٌ وَيُشْهَدُ

وضمَّ الإله اسم النبيِّ إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤدَّنُ أشهدُ

وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجَلِّهُ فَدُو العَرْشِ مُحَمَّدٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 21.

² نفسه، ص 55.

³ نفسه، ص 54.

نبيّ أتانا بعد يأسٍ وفترةٍ من الرّسل والأوثان في الأرض تُعبدُ
فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا يلوح كما لاح الصّقيلُ المهنّدُ
وأندرنا نارا وبشّر جنّة وعلمنا الإسلامَ فالله نحمدُ

وأقوى قصيدة في مدائح حسان هي العينية، التي يمدح فيها الرسول ﷺ وأهله، ويقارع الخصوم ويلاحيهم ومن حديث هذه العينية أنّ وفد تميم لما قدموا على النبي ﷺ، قالوا جئنا لنفاخرك، وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا، فقام خطيبهم عطارد بن حاجب فتكلم، وقام خطيب الرسول ثابت بن قيس فأجاب ثم قام شاعرهم الزبيرقان بن بدر فقال قصيدته التي مطلعها:

نحن الكرام فلا حيّ يعادلنا منّا الملووك وفينا يُقسم الرّبّع
وكم قسرنا من الأحياء كلّهم عند النّهاب وفضل العزّ يتّبّع¹

ولما فرغ الزبيرقان من قوله قال رسول الله ﷺ لحسان: (قم يا حسان فأجب الرجل فيما قال) فقال حسان: (من البسيط)

إنّ الدّوائب من فهرٍ وإخوتهم قد بينوا سنّة للنّاس تتّبّع
يرضى بها كلّ من كانت سريرته تقوى الإله وبالأمّر الذي شرعوا
إلى أن انتهى إلى قوله:

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم إذا تفرّقت الأهواء والشّيّع
أهدى لهم مدحي قلبٌ يؤازره فيما يحبُّ لسانٌ حائك صنع
فإنّهم أفضل الأحياء كلّهم إن جدّ بالنّاس جدُّ القول أو شعوا

¹ زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، ص 27.

فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله قال الأقرع بن حابس: وأبي إن هذا الرجل لمؤتى له، لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، وأصواتهم أعلى من أصواتنا، فلما فرغ القوم أسلموا.¹

وقد كان الرسول ﷺ يعجب بشعر حسان بن ثابت ويثني عليه، ويكفيه فخرا أن الرسول كان يدعو له فيقول: (اللهم أيده بروح القدس)، وحينما دعاه لهجاء أبي سفيان بن الحارث، وهو ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم، سأله كيف يهجو ويهجوا قومه وهو -أي الرسول ﷺ- منهم، فقال: "والله لأسلنك منهم كما يُسلّ الشعر من العجين"، وهذا دليل على اقتداره وشدة عارضته.²

4/مدحه للخلفاء الراشدين: مدح حسان بن ثابت خلفاء النبي ﷺ في قصائد عديدة، نذكر منها مدحه لأبي بكر الصديق رضي الله عنه أول الخلفاء الراشدين وأول من أسلم من الرجال الأحرار.

مدحه لأبي بكر الصديق:

روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بلغ النبي ﷺ ذات يوم أن قوما نالوا أبا بكر بألسنتهم، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أيها الناس ليس أحد منكم آمن عليّ في ذات يده ونفسه من أبي بكر كلكم قال لي كذبت، وقال لي أبو بكر صدقت، فلو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذت أبا بكر خليلاً) ثم التفت إلى حسان فقال: (هات ما قلت فيّ وفي أبي بكر) فقال حسان: قلت يا رسول الله:

(من البسيط)³

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجَوًّا مِنْ أَخِي ثِقَّةٍ	فَادُّرْ أَخَاكَ أبا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا
التالي الثاني محمود شيمته	وأول الناس طراً صدق الرُّسُلَا
والثاني اثنين في الغار المنيف وقد	طافَ العَدُوُّ بِهِ إِذْ صَعَدَ الجَبَلَا
وكان حب رسول الله قد علموا	من البريّة لم يعدل به رجلاً

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 154.

² محمود علي مكّي، المدائح النبوية، ص 12.

³ حسان بن ثابت، الديوان، ص 179.

حَيَّرَ الْبَرِيَّةَ أَبْقَاهَا وَأَرْأفَهَا بَعَدَ النَّبِيَّ، وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا

ويعدّ أبو بكر الصديق رضي الله عنه أول من صدّق بالدعوة المحمدية وآمن بها، لذلك فقد لقبه النبي صلى الله عليه وسلم بالصدّيق لكثرة تصديقه إياه، وفي هذه الأبيات يذكر حسان بن ثابت بذلك، حيث يمدحه ويثني عليه ويصف مشهد مساندته للنبي صلى الله عليه وسلم وبقائه بجانبه في الغار الذي أوى إليه في جبل ثور بمكة.

5/مدحه للصحابة رضوان الله عليهم: مدح حسان بن ثابت العديد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم نذكر منهم:

الزبير بن العوام:

الملقب بحواري النبي عليه الصلاة والسلام، وهو ابن عمّته وأحد العشر المبشرين بالجنة، وكان قد مرّ الزبير بن العوام يوماً بمجلس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسان بن ثابت ينشداهم من شعره وهم غير نشاطٍ لما يسمعون منه، فجلس معه الزبير، فقال مالي أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة فلقد كان يعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيحسن استماعه، ويجزل عليه ثوابه، ولا يشتغل عنه بشيء، فقال حسان: (من الطويل)¹

أقامَ على عهد النبيّ وهديه	حواريُّه والقولُ بالفعلِ يُعدلُ
أقامَ على منهاجه وطريقه	يؤالي وليّ الحقِّ والحقُّ أعدلُ
هو الفارسُ المشهورُ والبطلُ الذي	يصولُ إذا ما كان يومٌ مُحجّلُ
إذا كشفت عن ساقها الحربُ حشّها	بأبيضِ ساقٍ إلى الموتِ يُرقلُ
وإن امرأً كانت صفيّةً أمّهُ	ومن أسدٌ في بيتها لمُرقلُ
له من رسولِ الله قُرْبَى قَرِيبَةٌ	ومن نُصرةِ الإسلامِ مجدٌ مُؤثّلُ
فكم كربةً ذبَّ الرُّفَيْرُ بسيفه	عن المصطفى والله يُعطي فَيُجزلُ

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 199.

فما مثله فيهم ولا كان قبله
وليس يكون الدهر ما دام يذبل
ثناؤك خير من فعال معاشر
وفعلك يابن الهاشمية أفضل

عبد الله بن عباس:

وهو صحابي جليل وابن عم رسول الله ﷺ، قال الزبير بن بكار عنه: رأى النبي ﷺ يوماً ابن عباس مقبلاً فقال: اللهم إني أحبه فأحبه، وكان يجلسه في حجره فيقول: هذا شيخ قريش، ودعا رسول الله ﷺ له فقال: اللهم فقّهه في الدين، وعلمه التأويل.

وكان عمر رضي الله عنه يقول: ابن عباس فتى الكهول، وله لسان سؤال، وعقل سؤال. وكان إذا أشكل عليه أمر يقول له عمر يا غواص، حيث قال له عمر رضي الله عنه: والله إنك لأصبح فينا وجهاً وأحسنهم عقلاً وأفقههم في كتاب الله، ونظر الحطيئة الشاعر يوماً إلى ابن عباس في مجلس عمر بن الخطاب رضي الله عنه عالياً على الناس فقال: من هذا الذي فرع الناس بعلمه وترك منهم نسبة فقالوا: عبد الله بن عباس الذي يقول فيه حسان بن ثابت يمدحه: (من الطويل)

إذا ما ابن عباسٍ بدا لك وجهه
رأيت له في كلِّ أحواله فضلاً
إذا قال لم يترك مقالا لقائلٍ
بمُلْتَقَطَاتٍ لا ترى بينها فصلاً
كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع
لذي إربةٍ في القول جدّاً ولا هزلاً
سموت إلى العليا بغير مشقة
فملت ذراها لا دنيّاً ولا وغلاً
خُلقت خليفاً للمودّة والتّدى
فليجاً ولم تُخلق كهاما ولا جهلاً¹

¹ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق الدكتور كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، الكوفة، العراق، (د.ط.)، 49هـ، 68هـ، الجزء الخامس، ص 426.

الفصل الثاني

التشكيل الفني في شعر حسان بن ثابت

أولاً: اللغة والأساليب

ثانياً: المحسنات البديعية

ثالثاً: الصور البيانية

الفصل الثاني: التشكيل الفني في شعر حسان بن ثابت

أولاً: اللغة والأساليب

1- اللغة:

اتسم شعر حسان بن ثابت في الجاهلية بالألفاظ الحشنة والحوشية الغريبة، والأخيلة البدوية ويرجع سبب ذلك إلى طبيعة البيئة التي عاش فيها.

وقد سار في بنائه للهيكل العام لقصائده على نهج أقرانه من شعراء الجاهلية، فالشاعر يبدأ في قصائده بالوقوف على الأطلال وذكر ديار الأحبة، ثم يصف رحلته ورحلته إلى الممدوح، ثم الانتقال إلى مدح الممدوح، ويصل ذلك بالنسيب، وهذا هو نظام القصيدة في العموم، تقوم على أربعة عناصر أساسية هي: المقدمة والغرض وحسن التخلص والخاتمة، وكنموذج عن ذلك قوله في مدحه للغساسنة:

(من الكامل)¹

الوقوف على الأطلال والتساؤل عن ديار الأحبة:

أَسَأَلْتُ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلِ	بَيْنَ الْجَوَابِي فَالْبُضِيعِ فَحَوَمَلِ
فَالْمَرْجِ مَرْجِ الصُّفْرَيْنِ فَجَاسِمِ	فَدَيَارِ سَلَمَى دُرْسًا لَمْ تَحَلِّ
دَمْنٌ تَعَاقَبَتْهَا الرِّيحُ دَوَارِسُ	والمَدَجَنَاتِ مِنَ السَّمَاءِ الأَعَزَلِ
دَارٌ لِقُومٍ قَدْ أَرَاهُمْ مَرَّةً	فَوْقَ الأَعَزَّةِ عَزُّهُمْ لَمْ يُنْقَلِ
مدح الغساسنة والإشادة بصفاتهم:	
لِللَّهِ دُرٌّ عَصَابَةٌ نَادِمَتْهُمْ	يَوْمًا بِجَلْقٍ فِي الزَّمَانِ الأَوَّلِ
يَمْشُونَ فِي الحَلَلِ المِضَاعِفِ نَسْجَهَا	مَشَى الجَمَالِ إِلَى الجَمَالِ البَزْلِ

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 183.

الضَّارِبُونَ الكَبْسَ يَبْرُقُ بِيضُهُ ضَرْبًا يَطِيحُ لَهُ بَنَانُ المِفْصَلِ
والخَالِطُونَ فَقِيرَهُم بِعَيْنِهِم والمنعِمُونَ عَلَى الضَّعِيفِ المِرْمَلِ
أَوْلَادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِم قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الكَرِيمِ المِفْصَلِ
إِذَا تَرَى رَأْسِي تَغَيَّرَ لَوْنُهُ شَمَطًا فَأَصْبَحَ كَالثَّغَامِ المَحْوَلِ
يُغَشَّوْنَ حَتَّى مَا تَهَرَّ كِلَابُهُم لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ المَقْبَلِ

وصف الحمرة:

ولقد شَرِبْتُ الحَمْرَ فِي حَانوتِهَا صَهْبَاءَ صَافِيَةً كَطَعْمِ القُلُقُلِ
يَسْعَى عَلَيَّ بِكَأْسِهَا مَنطِطٌ فَيُعِلُّنِي مِنْهَا وَلَوْ لَمْ أَنهَلِ
إِلَى الَّتِي فَأَوْلَتْني فَردَّدَتْهَا قُتِلَتْ قُتِلَتْ فَهَاتِمَا لَمْ تُقْتَلِ
بِرُجَاجَةٍ رَقَصَتْ بِمَا فِي قَعْرِهَا رَقِصَ القُلُوصِ بِرَاكِبٍ مُسْتَعَجِلِ

الإفتخار بالنسب:

نَسِي أَصِيلٌ فِي الكِرَامِ وَمَذُودِي تَكْوِي مَوَاسِمُهُ جُنُوبَ المِصْطَلِي
ولقد تُقَلِّدُنَا العَشِيرَةَ أَمْرَهَا وَنَسُودُ يَوْمَ النَّابِتَاتِ وَنَعْتَلِي
وَيَسُودُ سَيِّدُنَا جِحَاحَ سَادَةٍ وَيُصِيبُ قَائِلُنَا سَوَاءَ المِفْصَلِ
وَتُحَاوَلُ الأَمْرَ المَهْمَ خِطَابُهُ فِيهِمْ وَنُفْصِلُ كُلَّ أَمْرٍ مُعْضَلِ

وكعادة الشعراء الجاهليين بدأ حسان بن ثابت قصيدته أعلاه بالوقوف على الأطلال، فتساءل عن ديار المحبوبة، وتنقل بين الجوابي والبضيع والحومل وهي مواضع بالشام، وبين مرج الصفر وجاسم وهي مواضع بدمشق، والأمكنة التي ذكرها هي من منازل آل جفنة الغساسنة، ثم انتقل إلى مدحهم والثناء عليهم ووصف الحمرة واحتسائها، بعد ذلك افتخر بنسبه الأصيل.

والمتممّن في هذه القصيدة وغيرها من شعره الجاهلي يلاحظ متانة شعره وبلاغته، وقوة ألفاظه وصعوبتها في أغلب الأحيان، ومن هذه الألفاظ نذكر: دُرْسًا (ودرّست الدار أي اتّحت)، المدجنات (يعني بها الغيوم السوداء)، السّمّاك الأعزل (نجم في السماء)، عصابة (ويقصد بها جماعة الرفاق)، البزّل (وهي لفظة تطلق على الجمال أو النوق التي استكملت السنة الثامنة وطعنت في التاسعة)، الكبس (وهو قائد الكتبية)، يبرق بيضه (ويقصد بها بريق الخوذة وهي من آلات الحرب لوقاية الرأس)، يطيح (يذهب) والبنان (الإصبع) والمرمل (وهو الفقير)، والمفضّل (ويقصد به صاحب الفضل)، صهباء (هي الخمرة) متنظّف (وهو الذي يعلّق في أذنه القرط)، والقلوص (هي الناقة الفتية)، المذود (وهو اللسان)، والنائبات (وهي المصائب).

أمّا عن شعره في الإسلام فقد أصبحت لغته أكثر سهولة قياسا بلغته الجاهلية، وأصبحت ألفاظه جزلة سلسلة بعيدة عن الحوشية والغريب، وتحلّى بالفصاحة الخالية من التعقيد، وابتعد عن الأسلوب البدوي الغليظ، وعن الغلو والإفراط في المديح، وذلك أنّ الإسلام قد أثر في الأدب بصفة عامّة والشعر بصفة خاصّة، فراح ينهل من بحر هذا الدين الجديد واستغلّه في شعره الذي أصبح يزخر بالمعاني الإسلامية الجديدة والأغراض النبيلة.

والجدير بالذكر أنّ الشعر الإسلامي لم يختلف كثيرا عن الشعر الجاهلي في بعض جوانبه الفنية، ذلك أنّ معظم الشعراء هم من المخضرمين الذين عاشوا أغلب حياتهم في العصر الجاهلي، فإنه لمن الصعب عنهم التخلّص بكل بساطة عن نظام القصيدة الجاهلية، لذلك فقد حافظوا على نمطها من حيث المطلع الطللي والغزلي مثلما فعل حسان بن ثابت في بعض قصائده، ومثالا عن ذلك نظمهُ ﷺ لقصيدة يمدح فيها المصطفى ﷺ، وذلك قبل فتح مكة، ويهجوا فيها أبا سفيان الذي هجا النبي ﷺ قبل إسلامه فيقول: (من الوافر)¹

الوقوف على الأطلال:

عَمَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجِوَاءِ إِلَى عِذْرَاءٍ مَنْزِلَهَا خَلَاءِ

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 17.

دِيَارٌ مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَفْرٌ
تُعَقِّبُهَا الرِّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ
وَكَانَتْ لَا يِرَالُ بِهَا أَنْيَسٌ
خِلَالَ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وَشَاءُ
التغزل بالمحبة:

فَدَعَ هَذَا وَلَكِنْ مِنْ لَطِيفٍ
يُؤَرِّفُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ
لِشَعْنَاءِ الَّتِي قَدْ تَيَمَّتْهُ
فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفَاءُ
وصف الخمرة:

كَأَنَّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ
يَكُونُ مِزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاءُ
إِذَا مَا الْأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا
فَهُنَّ لَطِيبُ الرَّاحِ الْفِدَاءُ
وَنَشْرُجُهَا فَتَتَرَكُّنَا مُلُوكًا
وَأُسْدًا مَا يُنْهِنُنَا لِلِقَاءُ
التنبؤ بفتح مكة:

عَدِمْنَا حَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا
تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ
تَظَلُّ حِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ
تُلَطِّمُهُنَّ بِالْحُمْرِ النِّسَاءُ
فَإِذَا تُعْرِضُوا عَنَّا إِعْتَمَرْنَا
وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِحِلَادِ يَوْمٍ
مدح النبي ﷺ:

وَجَبْرِيلُ أَمِينُ اللَّهِ فِينَا
وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا
يَقُولُ الْحَقَّ إِنْ نَفَعَ الْبَلَاءُ
شَهِدْتُ بِهِ فِقُومُوا صَدَقُوهُ
فَقُلْتُمْ لَا نَقُومُ وَلَا نَشَاءُ

وقال الله قد يسرّ جندا هم الأنصار عرضتها اللقاء

هجاء أبي سفيان:

ألا أبلغ أبا سفيان عني فأنت مجوفٌ نحْبُ هواء

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءِ

أَتَهَجَوُهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفٍ فَشَرُّكُمْما لِحَيْرُكُمْما الْفِدَاءِ

هَجَوْتُ مُبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا أَمِينَ اللَّهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءِ

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءٌ

ومن هنا نلاحظ أنّ حسان بن ثابت قد انتهج طريقة الجاهليين في بناء قصائدهم، لذا جاء شعره ممزوجا بين أسلوب الجاهلية والمعاني الإسلامية، وهذا ليس عيبا لأنّ الشاعر قريب العهد بالجاهلية، ولأنّ هذه القصيدة تعتبر من أوائل قصائده في إسلامه، ومن جهة نلاحظ تأثير الإسلام في شعره ناهلا من أساليب القرآن ومعانيه ممّا زاد في شاعريته وبلاغته.

ومن هذا الأثر نذكر بعض الألفاظ التي تعدّ وليدة الحياة الإسلامية الجديدة مثل قوله: اعتمرنا (أي أدينا العمرة طاعة لله عز وجل)، وكان الفتح (ويقصد به فتح مكة)، ويعزّ الله فيه من يشاء، وجبريل، ورسول الله، وروح القدس (ويقصد جبريل)، والأنصار، وذكره لفظ الجلالة (الله) في العديد من المواضع، و شهدت به (ويقصد القول آمنت به أي بالنبي عليه الصلاة والسلام)، وعند الله في ذاك الجزاء (ويقصد الحساب إن كان خيرا أو شرا)، والألفاظ مباركا بَرًّا حنيفا... الخ.

ورغم ذلك فقد حاول الشعراء المسلمين التخلّص من هذا النمط التقليدي في العديد من قصائدهم وقد دعا إلى ذلك حسان بن ثابت في قوله: (من الكامل)¹

فدع الديار وذكر كلّ خريدة بيضاء أنسة الحديث كعاب

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 22.

فلاحظ أنّ حساناً فيما بعد قد نظم العديد من قصائده في مختلف الأغراض الشعرية دون أن يتقيد بأيّ عنصر من عناصر بناء القصيدة الجاهلية من الناحية الشكلية كتخلصه مثلاً من المقدمات الطللية والغزلية وغيرها، فضمّ ديوانه خمسة قصائد مدحية وُلج فيها مباشرة إلى موضوعه وهو المدح ولم يمهد له بأية مقدمات.

ومن قصائده في مدح الرسول ﷺ والتي طغى عليها الطابع الإسلامي بشكل جلي قوله:

(من الطويل)¹

أَعْرُ عَلَيْهِ لِلنَّبِوَةِ حَآئِمٌ	مِنَ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيُشْهَدُ
وَضَمَّ إِلَاهِ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ	إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَدَّنُ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ	فَدَوَّ الْعَرْشِ مُحَمَّدٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ
نَبِيٍّ أَتَانَا بَعْدَ يَأْسٍ وَفْتَرَةٍ	مِنَ الرِّسْلِ وَالْأَوْثَانِ فِي الْأَرْضِ تُعْبَدُ
فَأَمْسَى سَرَاجًا مُسْتَنِيرًا وَهَادِيًا	يَلُوحُ كَمَا لَاحَ الصَّقِيلُ الْمَهْنَدُ
وَأَنْدَرْنَا نَارًا وَبَشَّرَ جَنَّةَ	وَعَلَّمَنَا الْإِسْلَامَ فَاللَّهُ نَحْمَدُ
وَأَنْتَ إِلَهَ الْخَلْقِ رَبِّي وَخَالِقِي	بِذَلِكَ مَا عَمَّرْتُ فِي النَّاسِ أَشْهَدُ
تَعَالَيْتَ رَبَّ النَّاسِ عَنِ قَوْلِ مَنْ دَعَا	سِوَاكَ إِلَهًا، أَنْتَ أَعْلَى وَأَجْزَلُ
لَكَ الْخَلْقُ وَالنِّعْمَاءُ وَالْأَمْرُ كُلُّهُ	فِيَايَاكَ نَسْتَهْدِي، وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ

ونلاحظ أنّ حسان بن ثابت في نظمه لقصيدته هذه لم يرتبط بأيّ عنصر من عناصر بناء القصيدة الذي كان سائداً من قبل، إذ نراه قد شرع مباشرة في موضوعه الأهم وهو مدح سيّد الخلق مُحَمَّد ﷺ، وذلك بلغة سهلة بسيطة خالية من الغرابة والتعقيد، وبألفاظ ومعان تكشف عن روح دينية، ومن تلك الألفاظ نذكر: استخدامه لألفاظ الجلالة (الله، الإله، إله الخلق، ربي، خالقي، ربّ الناس، إلها)، وألفاظ أخرى

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 54.

كالنبوة النبي، الخمس (ويقصد بها الصلوات الخمس)، المؤذن، أشهد، ذو العرش، محمود، محمد، الرسل هاديا، نارا، جنة، الإسلام، نعبد.

ومن الواضح جدًا أنّ حسان بن ثابت كان دائم المحاولة لإظهار قصائده في قالب إسلامي جديد بعيدا عن نمط القصيدة الجاهلية، بالإضافة إلى تأثيره الكبير بأسلوب القرآن الكريم والسنة النبوية فجاءت لغته سهلة ومعانيه واضحة وأسلوبه سلسا مفعما بالأخيلة والصور.

2- الأساليب:

لقد تنوعت الأساليب الشعرية في مدحيات حسان بن ثابت وذلك حسب تنوع المواقف لديه، نذكر منها:

الأساليب الإنشائية الطلبية:

1- أسلوب الأمر: وظّف الشاعر أسلوب الأمر بدلالاته المختلفة، فخرج عن معناه الحقيقي إلى الدعاء على سبيل التضرع في قوله: (من الكامل)¹

يا ربّ فاجمعنا معا ونبيننا في جنة تثنى عُيون الحسدِ

في جنة الفردوس فاكتبها لنا يا ذا الجلال وذا العلا والسؤددِ

يتضرّع الشاعر هنا بالدعاء لربّه كي يجمعه مع النبي ﷺ ويكتبه معه في الجنة مستخدما أسلوب الأمر الذي يتمثل في الفعلين "اجمعنا" و "اكتبها".

ويخرج الأمر عن مقتضى الظاهر إلى الإلتماس، ومثال ذلك قوله: (من الوافر)²

فدع عنك التذكّر كلّ يوم ورّد حزازة الصدرِ الكئيبِ

وحبّر بالذي لا عيب فيه بصدقٍ غير إخبارِ الكذوبِ

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 66.

² نفسه، ص 24.

بما صنَعَ المليكَ عَدَاةَ بدرٍ لنا في المشركينَ من النَّصيبِ

وهنا يدعو الشاعر المسلمين بعدم تذكّر كلّ ما فات وترك الكآبة، والفرح بانتصارهم على المشركين في غزوة بدر مستخدماً أفعال الأمر "دَع" و "رُدَّ" و "خَبَّرَ".

وخرج الأمر عن مقتضى الظاهر إلى دلالة النصح والإرشاد في قوله في معرض حديثه عن غزوة الخندق:

(من الكامل)¹

فدَعِ الدِّيَارَ وَذَكَرْ كُلَّ خَرِيدَةٍ بِيَضَاءِ آنَسَةِ الْحَدِيثِ كِعَابِ

وَاشْكُ الْهُمُومَ إِلَى الْإِلَهِ وَمَا تَرَى مِنْ مَعْشَرٍ مُتَأَلِّبِينَ غِضَابِ

فالشاعر ينصح بترك ذلك المطلع الطللي والبكاء على الديار، وترك ذكر كلّ خريدة وهي المحبوبة الساكنة وأن تكون الشكوى لله وحده سبحانه وتعالى، مستخدماً فعلاً الأمر "دَع" و "اشك".

وكذلك يخرج الأمر إلى دلالة النصح والإرشاد في معرض حديثه ﷺ عن بني سليم حين قدّمهم رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، فقال: (من البسيط)²

دَعْ عَنكَ شَعْنَاءَ إِذْ كَانَتْ مَوَدَّتَهَا نَزْرًا وَشُرًّا وَصَالِ الْوَاصِلِ النَّزْرُ

وَأْتِ الرَّسُولَ فَقُلْ يَا خَيْرَ مُؤْمِنٍ لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا عُدَلَ الْبَشْرُ

وفي هذين البيتين ينصح الشاعر بترك ذكر المحبوبة والتي مثلها بحبيته شعناء، وذكر الرسول ﷺ بدلا عن ذلك فهو خير خلق الله، مستخدماً أفعال الأمر "دَع" و "أْتِ" و "قل".

ويقول في مدحه النبي ﷺ وهجائه لأبي سفيان: (من الوافر)³

وقال الله قد أرسلت عبدا يقول الحقّ إن نفع البلاء

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 22.

² نفسه، ص 120.

³ نفسه، ص 20.

شهدتْ به فقوموا صدّقه فقلتم لا نقوم ولا نشاء

وهنا يأمر الشاعر الكافرين بالتصديق بالنبي ﷺ مستخدماً الفعلين "قوموا" و "صدّقه" على سبيل التهديد.

وقوله في نفس القصيدة:

ألا أبلغ أبا سفيان عني فأنت مجوف نحب هواء

في هذا البيت خرج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معنى الإهانة، فالشاعر يهين أبا سفيان و يعيّره بالمجوف والتخب والهواء وهذه الألفاظ تعني الإنسان الجبان الذي لا قلب له، مستخدماً فعل الأمر "أبلغ".

2- أسلوب الإستفهام: قد ورد الإستفهام في مدحيات حسان بن ثابت في مثل قوله: (من الطويل)¹

وهل يستوي ظلّال قوم تسقّوها عمى وهداة يهتدون بمهتد

وهنا يستفهم حسان بأداة الإستفهام "هل" التي تفيد الإنكار، ويقصد بذلك أنه لا يعقل أن يكون الذين هم في ضلالة بمنزلة المؤمنين المهتدين.

ويقول في مطلع قصيدة يمدح بها الرسول: (من الكامل)²

هل رسمُ دارسةِ المقامِ يبابٍ مُتكلّمٍ لمجاورٍ بجوابٍ

في هذا البيت الطللي يتساءل الشاعر كعادة الشعراء الجاهليين عن الرسوم الدارسة، وآثار الديار المتبقية مستخدماً أداة الإستفهام "هل" التي تفيد التحسّر، فهو بذلك يتحسّر على تلك الديار التي أصبحت يباباً أي خراباً بعد أن كانت ملتقى الأحبة.

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 60.

² نفسه، ص 22.

وقوله في مطلع قصيدة يمدح فيها الغساسنة: (من الكامل)¹

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحومل

فالمرج مرج الصفرين فجاسم فديار سلمى درسا لم تحلل

وهنا يسأل الشاعر نفسه عن آثار الديار مستخدماً أداة الإستفهام "الهمزة"، وهو بذلك لا يريد جواباً بل يلفت الإنتباه إلى تلك الأماكن المتمثلة في الجوابي والبضيع والحومل ومرج الصفرين وجاسم فيعظّمها لأنها من منازل آل جفنة الغساسنة.

وكذلك يستخدم الإستفهام بالهمزة في مثل قوله: (من الوافر)²

أتهجوه ولست له بكفاء فشركما لخيركما الفداء

يردّ الشاعر في هذا البيت على أبي سفيان الذي كان قد هجا النبي ﷺ قبل إسلامه، فراح يسأله كيف يهجوه وهو لا شيء أمام خير الخلق، مستخدماً في ذلك الهمزة، فخرج الإستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى التحقير لأنّ الشاعر يحتقره ويحطّ من قيمته.

وقوله في معرض حديثه عن غزوة بدر: (من الوافر)³

يناديهم رسول الله لما قدفناهم كباكب في القليب

ألم تجدوا حديثي كان حقاً وأمر الله يأخذ بالقلوب

فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا صدقت وكنت ذا رأي مصيب

إنّ الشاعر يخاطب المشركين على لسان رسول الله ﷺ الذي جاءهم بالحق وهم يعرفون ذلك لكنهم لا يسلمون، فخرج الإستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى التقرير أي طلب إقرار المخاطب بأمر يعرفه مستخدماً همزة الاستفهام التي تصدرت الكلام.

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 183.

² نفسه، ص 20.

³ نفسه، ص 25.

3- أسلوب النداء: وقد وظّفه حسان بن ثابت في مواطن مختلفة في مدحياته، وتعدّدت الصيغ التي ظهر فيها فمثلا جاء النداء في بيت له يمدح فيه بني سليم: (من البسيط)¹

وأنتِ الرسول فقل يا خير مؤتمن للمؤمنين إذا ما عدل البشر

وقد خرج النداء هنا عن معناه الأصلي وهو طلب الإقبال إلى معنى آخر وهو التحبيب فالشاعر يدعو لذكر الرسول ﷺ بمناداته بأفضل صفاته كقوله يا خير مؤتمن للمؤمنين باستخدام أداة النداء "الياء"، وفي ذلك دلالة على حبّ النبي عليه الصلاة والسلام.

ويقول في مدحه قومه: (من الطويل)²

ألا أيّها الساعي ليدرك مجدنا نأثك العلى فاربع عليك فسائل

الشاعر في هذا البيت يعظّم قومه ويتباهى بمجدهم، مستخدما أداة النداء "أيّ" فخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معنى التعظيم.

وقال ﷺ في مقدّمة قصيدته التي يذكر فيها عدّة أصحاب اللواء يوم أحد: (من الخفيف)³

يا لقوم هل يفتل المرء مثلي واهن البطش والعظام سؤوم

همّها العطر والفراش ويعلوها لجين ولؤلؤ منظوم

في هذه المقدّمة يوجّه الشاعر كلامه إلى حبيته التي أصابت قلبه، فينادي قومه متسائلا هل بإمكان مرء مثله واهن البطش أي ضعيف أن يصيبه السؤوم والملل من مثل هذه الحبيبة التي همّها الوحيد هو العطر والفراش واللؤلؤ المنظوم وربما هو يتعجّب من ذلك مستخدما في ندائه أداة النداء "الياء".

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 120.

² نفسه، ص 186.

³ نفسه، ص 222.

الأساليب الإنشائية غير الطلبية:

1- أسلوب المدح:

بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة وانتشار الإسلام فيها، رحب حسان بن ثابت بهذا الدين الجديد وفرح بقدوم النبي ﷺ وفي ذلك يقول:

أهلا وسهلا ففي أمن وفي سعة نعم النبي ونعم القسم والجار

فأقسموه بما الأموال إذ قدموا مهاجرين وقسم الجاحد النار

وفي هذه الأبيات يمدح حسان بن ثابت النبي ﷺ ومن تبعه وأيده، موظفا في ذلك فعل المدح "نعم".

2- أسلوب القسم: ويمتدح حسان بن ثابت الرسول ﷺ فيستخدم ألفاظ الجلالة (تالله، والله، إذ يقول: (من البسيط)¹

تالله ما حملت أنثى ولا وضعت مثل الرسول نبي الأمة الهادي

ويعبر الشاعر باستخدامه القسم في هذا البيت عن عاطفته الصادقة القوية تجاه ممدوحه النبي عليه أفضل الصلاة والسلام.

وفي موضع آخر يقول أيضا في مديحه للرسول ﷺ: (من الكامل)²

والله ربي لا نفارق ماجدا عفت الخليقة ماجد الأجداد

ويقول في نفس القصيدة:

والله ربي لا نفارق أمره ما كان عيش يرتجى لمعاد

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 66.

² نفسه، ص 56.

3- استخدام الحرف ربّ:

يقول في مدحه لأخواله: (من الرمل)¹

ربّ خال لي لو أبصرته سبّط الكفّين في اليوم الخصر

ويقول في قصيدته التي يذكر فيها عدة أصحاب اللواء يوم أحد: (من الخفيف)²

رُبّ حلمٍ أضاعه عدم المال وجهلٍ غطّى عليه النّعيم

ثانيا: المحسنات البديعية

1-الطباق: ورد الطباق في مواضع عديدة في مدائح حسان بن ثابت، نذكر منه قوله في مدح النبي

ﷺ وهجائه لأبي سفيان: (من الوافر)³

أتهجوه ولست له بكفاء فشركما لخيركما الفداء

ونجد أنّ الطباق ورد في عجز البيت بين لفظتي (شركما) و(خيركما) وهو طباق الإيجاب.

وقوله من نفس القصيدة:

فمن يهجوا رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

إنّ الطباق في هذا البيت الشعري بين الفعلين (يهجوا) الوارد في الصدر و (يمدح) الوارد في العجز وهو طباق الإيجاب.

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 123.

² نفسه، ص 223.

³ نفسه، ص 20.

وقوله مستخدماً طباق الإيجاب كذلك : (من الوافر)¹

وخبّر بالذي لا عيب فيه بصدق غير إخبار الكذوب

وقد ورد الطباق في عجز البيت بين اللفظين (صدق) و (كذوب).

ويقول في مدحه النبي ﷺ: (من الطويل)²

وأندرنا نارا وبشّر جنّة وعلمنا الإسلام فالله نحمد

وظّف الشاعر الطباق في صدر البيت بين اللفظين (نارا) و (جنّة) وبين (أندرنا) و (بشّر) وهذا طباق الإيجاب.

ويقول: (من الطويل)³

وهل يستوي ظلّال قوم تسفّوها عمى وهداة يهتدون بمهتدي

نبيّ يرى ما لا يرى النّاس حوله ويتلو كتاب الله في كلّ مسجد

وإن قال في يوم مقالة غائب فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد

في هذه الأبيات نجد العديد من الطباق فقد ورد في البيت الأوّل طباق الإيجاب بين (ظلّال) في الصدر و (هداة) في العجز، وفي البيت الثاني نجد الطباق في الصدر بين (يرى) و (لا يرى) وهو طباق السلب أمّا في البيت الثالث فقد ورد في العجز بين (اليوم) و (الغد) وهو طباق الإيجاب.

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 24.

² نفسه، ص 54.

³ نفسه، ص 60.

وفي مدحه للحارث بن أبي شمر الغساني مفضلاً إياه عن النعمان يقول: (من المتقارب)¹

وَيْسِرَى يَدِيكَ عَلَى عَسْرَهَا كَيْمَنِي يَدِيهِ عَلَى الْمَعْسِرِ

إنَّ الطَّباقَ فِي هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ (يَسِرَى) فِي الصَّدْرِ وَ(يَمْنَى) فِي الْعَجْزِ وَهُوَ طَباقُ الْإِيجَابِ.

ويقول في مدح الغساسنة: (من الكامل)²

وَالْخَالِطُونَ فَقِيرَهُمْ بَغْنِيَهُمْ وَالْمَنْعَمُونَ عَلَى الضَّعِيفِ الْمَرْمَلِ

وقد ورد الطباق هنا في صدر البيت بين لفظي (فقيرهم) و (غنيتهم) وكلاهما معناه ضد الآخر فهو طباق الإيجاب.

ويقول في نفس القصيدة في وصفه الحمرة:

إِنَّ الَّتِي فَأَوْلَتْني فَرَدَدَتْهَا قُتِلْتُ قُتِلَتْ فَهَاتِمَا لَمْ تَقْتُلِ

فالطباق جاء في عجز البيت بين (قُتِلْتُ) و (لم تُقتل) وهو طباق السلب.

2-المقابلة: وترد المقابلة في مدحيات حسان بن ثابت في مثل قوله (من الطويل)³

وَهَلْ يَسْتَوِي ظَلالٌ قَوْمٌ تَسَقَّهُوا عَمَى وَهَدَاةٌ يَهْتَدُونَ بِمَهْتَدِ

والمقابلة هنا بين حالة من هم في ظلال في الشطر الأول، ومن هم على هداية في الشطر الثاني.

وقوله في عينيته التي يردّ فيها على الزبرقان: (من البسيط)⁴

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 110.

² نفسه، ص 184.

³ نفسه، ص 60.

⁴ نفسه، ص 152.

وفي هذا البيت ترد المقابلة بين وصف الشاعر لجيوش المسلمين بالقوة والشجاعة والفتك بأعدائهم في الحروب وإهلاكهم وذلك في الشطر الأول، وبين حمايتهم لأتباعهم ومناصريهم في الشطر الثاني.

وقوله في نفس القصيدة:

كم من صديق لهم نالوا كرامته ومن عدوّ عليهم جاهد جدعوا

يتحدّث الشاعر عن المسلمين فيقابل حسن معاملتهم للصدّيق ورفعهم من شأنه وحفظهم لكرامته في الشطر الأول، وإهانتهم للعدوّ الكافر وإذلاله في الشطر الثاني.

ويقول في معرض مدحه لقومه: ¹(من الطويل)

فهل يستوي ماءان أخضر زاخر وحسي ظنون ماؤه غير فاضل

والمقابلة في هذا البيت الشعري بين الماء الأخضر الزاخر في الشطر الأول أي الماء الكثير الغامر، وبين الحسي من الماء أي القليل منه، وربّما كان الشاعر يقصد بهذه المقابلة أن يعطي لنا مثالا عن المؤمنين المفعمة قلوبهم بالإيمان، وبين من هم في ظلاله.

3-الجناس: يعدّ الجناس من الوسائل الفنية المهمة التي يلجأ إليها الشاعر في بناء وتشكيل قصائده لما له من دور هام في لفت انتباه المتلقي ولما يحدثه في نفسه ميلا وإصغاء، والملاحظ في مدحيات حسان بن ثابت احتوائها على الجناس غير التام الذي كان له حضور مكثف بخلاف الجناس التام الذي لا يرد في خطابه إلا نادرا.

وفي قصيدة له في مدحه للرسول ﷺ يقول: ²(من الطويل)

أغرّ عليه من النبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 186.

² نفسه، ص 54.

وشقَّ له من اسمه ليجلّه فذو العرش محمود وهذا مُجَدِّ

برز الجناس في البيت الأول في قوله (مشهود، يشهد) كما جاء أيضا في البيت الثاني بين (محمود، مُجَدِّ) وهو جناس غير تام.

وقوله كذلك في مديحه النبوي: (من الكامل)¹

والله ربي لا نفارق ماجدا عَفَّ الخليفة ماجد الأجمادِ

متكرِّما يدعوا إلى ربِّ العلى بذل النصيحة رافع الأعمادِ

مثل الهلال مباركا ذا رحمة سمح الخليفة طيّب الأعوادِ

في هذه الأبيات قد ورد الجناس في الألفاظ (ماجدا وماجد والأجماد) وهذا الجناس غير تام لاختلاف الألفاظ في عدد الحروف، ويسمى ناقصا لنقصان حروف أحد الألفاظ عن الآخر.

وكذلك نجد الجناس في لفظي (الأعماد والأعواد) وهو جناس غير تام لاختلاف اللفظين في أنواع الحروف فالإختلاف بين اللفظين هنا يكمن في حرف واحد وسط الكلمة وهو الميم في (الأعماد) والواو في (الأعواد)، لأنه وكما رأينا سابقا في مدخل هذه المذكرة يشترط في هذا النوع من الجناس ألا يقع الإختلاف بأكثر من حرف واحد.

ومن هذا الجناس أيضا قوله: (من الطويل)²

لقد خابَ قوم غابَ عنهم نبيّهم وقدّس من يسري إليهم ويعتدي

فالجناس في لفظي (خابَ و غابَ) وهو جناس غير تام وذلك لتشابه اللفظين واختلافهما في الحرف الأوّل من كل كلمة الخاء في (خابَ) والغين في (غابَ).

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 56.

² نفسه، ص 59.

وقوله: (من الطويل)¹

وكنّا متى يغزُّ النبيُّ قبيلةً نصِّل حافتيه بالقنا والقنابلِ

وهنا ورد الجناس في كلمتي (القنا ومعناها الرماح)، و(القنابل التي يقصد بها جماعات الخيول) وهو جناس غير تامّ لتباين الكلمتين في عدد الحروف فقد زيدت لفظة القنابل عن القنا بحرفين هما الباء واللام إذن فهو يعتبر جناساً ناقصاً.

ومن الجناس الناقص كذلك قوله ﷺ يمدح عبد الله بن عباس: (من الطويل)²

إذا قال لم يترك مقالا لقائلٍ بمثلتقطات لا ترى بينها فصلا

كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع لذي إربة في القول جدّا ولا هزلا

والجناس في هذين البيتين قد ورد في الألفاظ (قال و مقالا و قائل) فهو جناس غير تام ناقص لنقصان حروف اللفظ الواحد عن الآخر. وكذلك نجد الجناس الغير تام في لفظي (كفى و شفى) والإختلاف بين اللفظتين في الحرف الأول كالكاف في (كفى) والشين في (شفى).

4-الإقتباس: تأثر حسان بن ثابت بأسلوب القرآن الكريم ومعانيه وألفاظه، فراح يقتبس من آيات الذكر الحكيم ويوظف ذلك في قصائده.

ومثاله قوله: (من الطويل)³

تَعَالَيْتَ رَبَّ النَّاسِ عَنْ قَوْلٍ مِنْ دَعَا سِوَاكَ إِلَهًا، أَنْتَ أَعْلَى وَأَجْزَلُ

لَكَ الْخَلْقُ وَالنِّعْمَاءُ وَالْأَمْرُ كُلُّهُ فَإِيَّاكَ نَسْتَهْدِي، وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 187.

² نفسه، ص 210.

³ نفسه، ص 55.

تأثر هنا بقوله تعالى من سورة الفاتحة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾¹

ومنه قوله في قصيدته العينية: (من البسيط)²

أَعْفَةُ ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عَفَّتْهُمْ لَا يَطْمَعُونَ وَلَا يَرِيدُهُمُ الطَّمْعُ

وهنا تأثر بقوله تعالى في سورة البقرة:

لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ
الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْافًا وَمَا تُنْفِقُوا
مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَالِمٌ ﴿٢٧١﴾³

وقوله: (من الكامل)⁴

وغدوا علينا قادرين بأيديهم ردّوا بغیظهم على الأعقاب

بهبوبٍ معصفةٍ تفرّق جمعهم وجنود ربك سيّد الأرباب

فكفى الإله المؤمنین قتالهم وأثابهم في الأجر خير ثواب

وقد استوحى هذه الأبيات من قوله تعالى في واقعة الأحزاب:

¹ سورة الفاتحة، الآية 5.

² حسان بن ثابت، الديوان، ص 152.

³ سورة البقرة، الآية 273.

⁴ حسان بن ثابت، الديوان، ص 23.

وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا^١ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ^٢ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا
عَزِيزًا^٣

وقوله: (من الكامل)^٢

مستشعر للكفر دون ثيابه والكفر ليس بطاهر الأثواب
علق الشقاء في قلبه فأرانه في الكفر آخر هذه الأحقاب
وقد اقتبس الشاعر هذا المعنى من قوله تعالى في سورة المطففين:

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ^٤

وقوله في يوم بدر: (من البسيط)^٤

مُسْتَعْصِمِينَ بِجَبَلٍ غَيْرٍ مَنجُذِمٍ مستحکم من جبالِ الله ممدود
فينا الرسول وفينا الحق نتبعه حتى الممات ونصر غير محدود

تأثر بقوله تعالى في سورة آل عمران:

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا^٥ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ
قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ
لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ^٥

^١ سورة الأحزاب، الآية 25.

^٢ حسان بن ثابت، الديوان، ص 23.

^٣ سورة المطففين، الآية 14.

^٤ حسان بن ثابت، الديوان، ص 55.

^٥ سورة آل عمران، الآية 103.

وقوله: (من الطويل)¹

هداهم به بعد الظلالة ربهم وأرشدهم من يتبع الحق يُرشد

وهل يستوي ظلال قوم تسفّوها عمى وهداة يهتدون بمهد

وهنا يقلد حسان بن ثابت قوله تعالى في سورة الرعد:

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ
نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ قُلْ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ
شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾²

فكأنّ الشاعر هنا يوازن بين الظلال من القوم وبين الهداة، فالفرق بينهما كالفرق بين الأعمى والبصير والظلمات والنور كما في الآية التي توضح ذلك.

ويقول حسان في مدح النبي ﷺ وأبي بكر الصديق: (من البسيط)³

والثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعّد الجبلا

فالشاعر قد اعتمد على قوله تعالى:

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ
لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ
كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٦﴾⁴

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 60.

² سورة الرعد، الآية 16.

³ حسان بن ثابت، الديوان، ص 179.

⁴ سورة التوبة، الآية 40.

ثالثاً: الصور البيانية

استخدم حسان بن ثابت عدّة صور بيانية في مدحياته وضحّ بها أفكاره وعواطفه نذكر منها:

1-التشبيه: إنّ المتأمل لشعر حسان بن ثابت يجد أنه قد أكثر من الصور التشبيهية باستخدام أدوات عدّة كالكاف وكأن وفي بعض الأحيان يحذف الأداة فيحقق بذلك لصورته قدراً واسعاً من البلاغة والبيان.

ومثلاً عن ذلك قوله في مديحه النبوي: (من الوافر)¹

غداة كأنّ جمعهم حِراءُ بدّت أركانه جنح العُيُوبِ
فوافيناهم مناً بجمعٍ كأسد الغاب مردان وشيب

وهنا شبّه الشاعر مقابلة جيش المسلمين لجيش المشركين في غزوة بدر، فشبّه جمع المشركين (بحِراء) وهو جبل من جبال مكة، مستخدماً أداة التشبيه (كأنّ)، وشبه جمع المسلمين بأسد الغاب في الشجاعة والإقدام ونلاحظ أنه قد ذكر المشبه وهو (جيش المسلمين)، وأداة التشبيه وهي (الكاف)، والمشبه به وهو (أسد الغاب)، لكنّه لم يذكر وجه الشبه وهو (الشجاعة والإقدام) الذي استنتجناه من خلال المعنى وهذا تشبيه مرسل مجمل.

وعن عائشة رضي الله عنها في وصفها لرسول الله صلى الله عليه وآله قالت: كان والله كما قال فيه حسان بن ثابت:

(من الطويل)²

متى بيدُ في الدّاجي البهيمِ جبينهُ يُلح مثل مصباحِ الدّجى المتوقّدِ

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 24.

² نفسه، ص 67.

وفي هذا البيت يشبه الشاعر لمعان جبين النبي ﷺ في الليل بنور القمر، فذكر المشبه وهو (جبين النبي) والمشبه به وهو (مصباح الدّجى) أي القمر، مستخدماً في ذلك أداة التشبيه (مثل)، ووجه الشبه المتمثل في (النور) بقوله (المتوقّد) والمتوقّد هو المشتعل أو المنير وهذا التشبيه تام توفرت فيه جميع أركانه.

وقوله: (من البسيط)¹

مبارك كضياء البدر صورته لمقال كان فضاء غير مردود

وكذلك هذا التشبيه تام يشمل جميع أركانه من المشبه وهو (الرسول ﷺ)، وأداة التشبيه وهو (حرف الكاف) والمشبه به (ضياء البدر)، ووجه الشبه والمتمثل في البركة (مبارك)، فالشاعر بمدحه الرسول صلى الله عليه وسلم يشبه صورته بضياء البدر.

وقوله: (من الوافر)²

عرفت ديار زينب بالكثيب كخط الوحي في الرّق القشيب

ويشتمل هذا التشبيه كذلك على جميع أركانه، فقد شبه الشاعر (ديار زينب) وهي المشبه، (بخط الوحي) وهو المشبه به، مستخدماً أداة التشبيه (الكاف)، ووجه الشبه يتمثل في (الرق القشيب) أي الجلد الرقيق الذي يكتب عليه وهو جديد، فكأنما الشاعر شبه آثار الديار بالخطوط في الورق.

وقوله: (من الكامل)³

مثل الهلال مباركا ذا رحمة سمح الخليقة طيّب الأعواد

والشاعر هنا يشبه (الرسول ﷺ) وهو المشبه بالهلال في البركة مستخدماً أداة التشبيه (مثل)، أمّا وجه الشبه الذي يجمع بين المشبه والمشبه به فيتمثل في البركة (مباركا).

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 56.

² نفسه، ص 24.

³ نفسه، ص 56.

وقوله في وصف الخمرة: (من الوافر)¹

كَأَنَّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مَزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ
عَلَى أَنْيَابِهَا أَوْ طَعْمَ غَضٍّ مِنْ التَّفَاحِ هَصَّرَهُ الْجِنَاءُ

وفي هاتين الصورتين التشبيهيتين يشبه الشاعر ريق حبيته شعثاء وهو المشبه بسبيئة بيت رأس (وهي المشبه به) التي قد مزجت بالعسل والماء، وشبهه حلاوة طعمه بطعم التفاح الغضّ، والمقصود بالسبيئة هي الخمرة أمّا بيت رأس هو اسم لقريتين في كلّ واحدة منهما كروم كثيرة يُنسب إليها الخمر، مستخدما في ذلك أداة التشبيه كأنّ وهذا تشبيه مرسل مجمل لوجود الأداة وحذف وجه الشبه.

وقوله في نفس القصيدة:

لساني صارمٌ لا عيبَ فيه وبحري لا تُكدرُهُ الدَّلَائِي

لقد شبه الشاعر هنا لسانه بالسيف الصارم الذي يقطع ألسنة الأعداء بقوله (لساني صارم)، فحذف أداة التشبيه وذكر وجه الشبه وهو تشبيه مؤكد مفصل.

وقوله في معرض مدحه للغساسنة: (من الكامل)²

إمّا ترى رأسي تغيّر لونه شمطا فأصبح كالثغام المحول

فشبه الشاعر (رأسه) عندما اعتراه الشيب وهو المشبه بالثغام المحول وهو نوع من النبات الذي ينبت أخضرا ثمّ يبيض إذا يبس، مستخدما في ذلك أداة التشبيه (الكاف)، أمّا عن وجه الشبه بينهما فهو (البياض).

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 18.

² نفسه، ص 184.

وقوله من نفس القصيدة:

ولقد شربتُ الخمرَ في حانوتها صهباءَ صافيةً كطعمِ الفلفلِ

شبه الشاعر طعم الخمر وهو المشبه بطعم الفلفل وهو المشبه به، مستخدماً أداة التشبيه (الكاف)، ووجه الشبه يكمن في قوة وحرارة كليهما.

وقوله من نفس القصيدة أيضاً:

بزجاجة رقصت بما في قعرها رقص القلوص براكب مستعجل

وهنا شبه الشاعر اضطراب زجاجة الخمر وهي المشبه برقص القلوص وهي المشبه به، ومعنى القلوص هي الناقة الفتية، ولم يستخدم في ذلك أداة تشبيه، أمّا عن وجه الشبه بينهما فهو الرقص، وهو تشبيه مؤكد مفصل.

ويقول في قصيدة يمدح فيها النبي ﷺ ويهجو فيها أبا سفيان: (من الوافر)¹

ألا أبلغُ أبا سفيانَ عني فأنتَ مجوّفٌ نجِبٌ هواءُ

وفي هذه الصورة التشبيهية أراد الشاعر أن يحط من قيمة أبي سفيان فشبهه بالمجوّف والنخب والهواء وهذه الألفاظ كما شرحناها سابقاً في أسلوب الأمر تعني الإنسان الجبان الذي لا قلب له، فحذف أداة التشبيه ووجه الشبه، لذلك فالشاعر قد استخدم التشبيه البليغ لكي يثبت صفة الجبن على مهجوه.

2- الإستعارة: وتزخر مدحيات حسان بن ثابت بالإستعارات سواء أكانت مكنية أو تصريحية، ومن الإستعارات المكنية التي استخدمها نذكر قوله في مديحه النبوي: (من الكامل)²

مُسْتَشْعِرٌ للكُفْرِ دُونَ ثِيَابِهِ وَالكُفْرُ لَيْسَ بِطَاهِرِ الأَثْوَابِ

عَلِقَ الشَّقَاءُ بقلبه فأرأنهُ في الكفر آخر هذه الأحقاب

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 20.

² نفسه، ص 23.

وفي هذين البيتين يردّ فيهما الشاعر على الكافر المكذّب برسول الله ﷺ فشبهه كفره وهو المشبه بالشعار الذي يلبسه، ومعنى الشعار هنا هو كل ما ولي شعر جسد الإنسان دون ما سواه من الثياب، فقد جعل الشاعر الكفر لباس الكافر، فحذف المشبه به (الشعار) وترك شيئاً من لوازمه وهو (مُسْتَشْعِرٌ).

ثم شبه في الشطر الثاني (الكفر) وهو المشبه بإنسان يلبس ثياباً غير طاهرة، فحذف المشبه به (الإنسان) وأبقى على شيء من لوازمه وهو (ليس بطاهر الأثواب) وهذا على سبيل الإستعارة المكنية.

وفي البيت الثاني يشبه (الشقاء) وهو المشبه بالعلقة التي تعلق بالقلب، فغطت بذلك على قلبه بالكفر فحذف المشبه به وهي (العلقة) وترك شيئاً من لوازمها وهو (عَلِقٌ) وهذا على سبيل الإستعارة المكنية.

ونلاحظ أنّ حسان بن ثابت قد استخدم أكثر من صورة استعارية في البيت الواحد وذلك لزيادة التوضيح والبيان.

وأما عن الإستعارة التصريحية:

يقول: (من الوافر)¹

لساني صارمٌ لا عيب فيه وبحري لا تُكدرُهُ الدلاءُ

شبه الشاعر هنا شعره بالبحر الصافي النظيف الذي لا تؤثر فيه الدلاء التي يستقى بها بقوله (بحري لا تكدره الدلاء)، فحذف المشبه أي (شعره)، وصرح بالمشبه به أي (البحر)، وهذا على سبيل الإستعارة التصريحية.

وقال أيضاً يذكر رسول الله ﷺ وأصحابه يوم بدر: (من البسيط)²

مُسْتَعَصِمِينَ بِجِبَلٍ غير منجذمٍ مستحکم من جبالِ الله ممدودٍ

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 21.

² نفسه، ص 55.

شبه الشاعر هنا الدين الإسلامي بحبل متين غير منجذم أي محكم غير منقطع ، فحذف المشبه وهو (دين الإسلام) وصرح بلفظ المشبه به وهو (الحبل) وهذا على سبيل الإستعارة التصريحية، وقد اختار الحبل دون سواه ليدلّ به على متانة الدين الإسلامي، وفي قوله مستعصمين دلالة على إتحاد المسلمين وتمسكهم بدينهم لأنّ معنى الإستعصام هو ملازمة الشيء والتمسك به ليمتنع به عمّا يضرّ.

وكذا في مدحه للنبي ﷺ يقول: (من المتقارب)¹

فلمّا أتانا رسول المليك بالتّور والحقّ بعد الظّلم

ركنّا إليه ولم نعصه غداة أتانا من أرض الحرم

لقد شبه الشاعر القرآن بالنور في قوله (أتانا رسول المليك بالنور) فحذف المشبه وهو (القرآن) وصرح بالمشبه به (النور) على سبيل الإستعارة التصريحية.

3-الكناية:

كقوله في مدحه للغساسنة: (من الرمل)²

ربّ خال لي لو أبصرته سبّط الكفّين في اليوم الخصر

يوقدّ النار إذا ما أطفئت يُعملُ القدر بأثباج الجزر

وهنا يمدح حسان أخواله الغساسنة ويثني عليهم بما فيهم من الصفات الحميدة كالجود والكرم معبّراً بذلك بصيغة المفرد، فجمع كلّ الغساسنة وكأنهم خال له، فيقول فيه (سبّط الكفّين) وهي كناية عن موصوف يقصد بها كثرة جوده وكرمه، وقوله (يوقد النار) وهي كناية عن صفة يقصد بها صفة الكرم، ففي الجاهلية كان عدم انطفاء النار أمام بيت صاحبها دليل على كثرة طبخه وبالتالي كرمه.

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 221.

² نفسه، ص 123.

وقوله في مدح الغساسنة أيضا: (من الكامل)¹

يُغَشَوْنَ حتى ما تهرّ كلابُهُم لا يسألونَ عن السّوادِ المقبلِ

ويقصد بهذا البيت أنّ الغساسنة يُغشون أي يُقصّدون من طرف الضيوف الوافدة إليهم، فهم دائموا التردّد عليهم حتى أصبحت كلابهم لا تنبح أحدا لأنها اعتادت مرأى هذه الوفود، وفي ذلك كناية عن صفة وهي حسن الضيافة.

وقوله في نفس القصيدة:

بيضُ الوجوه كريمة أحسابهم شمُّ الأنوفِ من الطراز الأول

ويتحدّث هنا عن طيب خصالهم وكريم حسبهم وعزّتهم وفي قوله (بيض الوجوه) كناية عن حسنهم وجمالهم، وقوله (شمُّ الأنوف) كناية عن رفعتهم وعلوّ شأنهم.

وهكذا تتنوع الصور البيانية في مدحيات حسان بن ثابت بين التشبيه والإستعارة والكناية حيث أضفت جمالا على الأبيات وأسهمت في إبراز مكان من الجودة الشعرية لدى الشاعر.

¹ حسان بن ثابت، الديوان، ص 184.

خاتمة

خاتمة:

في نهاية المطاف ومن خلال هذه الدراسة التي قمت بها في موضوع "البناء الفني في شعر المدح حسان بن ثابت نموذجاً"، استطعت أن أصل إلى خاتمة أرصد فيها بعض ما توصلت إليه من نتائج وهي كالاتي:

- لدراسة البنية في العمل الأدبي دورا هاما يكمن في كشفها لجماليات النص الشعري من خلال انتظام وتلاحم أجزائها.

- يعدّ البناء الفني زبدة امتزاج صور الشاعر النفسية ومادّته، وتكافؤ عمله شكلا ومضمونا، وترتيب أفكاره، وانتقاء ألفاظه وصوره لما لها من تأثير في عملية البناء.

- سلكت قصائد المدح لدى بعض الشعراء الجاهليين طريقا بعيدة عن التكبّب والتملّق، إلى أن ظهرت طائفة من الشعراء سخّرت مثل هذه القصائد لخدمة أطماعها الشخصية، وبعد مجيء الإسلام اختلفت قصائد المدح عن سابقتها من حيث الهدف فابتعد الشاعر كلّ البعد عن التكبّب وما شابهه وصار يمدح لأهداف أسمى كالّدفاع عن الدين الجديد ونشر الرسالة ومدح شخصية النبي ﷺ والمسلمين كافة.

- يعتبر حسان بن ثابت أحد أشهر الشعراء المخضرمين باعتباره شاعر النبي ﷺ الذي كان يُعجب بشعره ويثني عليه ويدعوا له حتى أنه كان ينصب له منبرا في المسجد لقول الشعر وهذا دليل على مكانته وقدرته الشعرية، فقد اعتُبر شعره السيف الصارم في الدفاع عن الإسلام والمسلمين، وكفّ هجاء المشركين.

- سجّلت مدحيات حسان بن ثابت منظومة من الأخلاق الإسلامية والنماذج العربية التي كان عليها ممدوحوه.

- تميزت قصائد حسان بن ثابت في بدايات إسلامه بينائها وتعدّد موضوعاتها، كونه قد سار على النهج نفسه الذي اتبعه الجاهليون في بناء قصائدهم.

- ومن حيث المعجم الشعري لدى حسان بن ثابت فإنه يلحظ عليه الغنى والثراء والتنوع ليعبر عن تلك النفس التواقفة إلى الأفضل كون الشاعر مخضرم عايش عصرين.
- اتسمت لغته في الجاهلية بالقوة والمتانة وصعوبة الألفاظ وخشونتتها، أمّا في إسلامه فقد كان دائم السعي إلى تهذيبها فاعتمد على المفردات السهلة البسيطة الواضحة والقريبة إلى الذهن.
- خلو مدحيات حسان بن ثابت من بعض الأساليب الإنشائية كأسلوب النهي وأسلوب الذم وأسلوب التمني، وذلك لأنّ الشاعر قد استخدمهم بكثرة في أغراض شعرية أخرى كالهجاء والثناء.
- استطاع حسان بن ثابت أن يعبر عن مشاعره وما يجول في خاطره من خلال استخدامه الصور البديعية، وبهذا أغنى شعره ومنحه ألفاظا وصورا تعبيرية اتسمت بالرّوعة والجمال.
- وقد لاحظنا في الصور البديعية أنّ الجناس غير التام كان له الحضور القوي في مدحيات الشاعر على حساب الجناس التام، حيث أولى الإهتمام به لما له من أثر بارز من خلال تحقيق التماثل الصوتي والتباين الدلالي بين الكلمتين المتجانستين.
- نلاحظ تأثر الشاعر بأسلوب القرآن الكريم من خلال استخدامه لآلية التناص، فوظّف النص الديني في نصه الشعري لما له من مكانة مقدّسة في قلوب المسلمين.
- كما استطاع الشاعر أن يرسم لوحات فنية من خلال الصور البيانية التي عكست انفعالاته بلغة موحية، فهو قريب من الصور الحسية التي تقرّب المعنى للمتلقى.
- وأخيرا تبقى هذه الدّراسة المتواضعة مجالا مفتوحا للنقد والتصويب، فأرجو أن أكون قد وفّقت في البحث فيها، وأن تكون حافزا لدراسات أخرى تبحث في الموضوع نفسه وما فاته من جوانب، وحسبي أنني قمت بهذه المحاولة بصدق وإخلاص، فمن الله التوفيق وله الحمد.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

-القرآن الكريم برواية ورش.

-حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق مُجَّد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 2، 1981م.

-حسان بن ثابت، الديوان، شرحه وكتب هوامشه وقدم له الأستاذ عبد أ. مهنا، منشورات مُجَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1425هـ-2004م.

-سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق الدكتور كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، الكوفة، العراق، (د.ط)، 49هـ، 68هـ، الجزء الخامس.

-أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1420هـ-2000م.

-أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق وتعليق الدكتور مُجَّد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

-أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1400هـ-1980م.

-مُجَّد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، شرح وتحقيق عباس عبد الساتر، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1426هـ-2005م.

المعاجم اللغوية:

-أحمد بن مُجَّد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 2، (د.ت).

-أميل بديع يعقوب وميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، مج 1، دار العلم للملايين بيروت لبنان، ط 1، 1987م.

-مجد الدين مُجَّد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف مُجَّد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا، طبعة فنية منقّحة مفهرسة، 1998م.

-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 1990م، جزء 15.

المراجع:

-إميل ناصيف، أروع ما قيل في المديح، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1413 هـ- 1992م.

-زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت).

-زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط) 1992م.

-سامي الدهان، المديح، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 5، 1980، ص 5.

-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 11، (د.ت).

-صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 1، 1419هـ- 1998م.

-عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 4، 1984 ج 2.

-مُجَّد عزام، بناء القصيدة التقليدية، الموقف الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع 102، أكتوبر، 1979.

-محمود علي مكّي، المدائح النبوية، دار نوبار للطباعة، الشركة المصرية العالمية للنشر لوّنجمان، الجيزة، مصر، ط 1، 1991م.

الرسائل العلمية:

-جمال رقاب، بناء القصيدة في شعر ابن الخلف القسنطيني، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي، تخصص الأدب العربي قديما وحديثا، جامعة زيان عاشور بالجلفة 2014م-2015م.

-السعيد قوراري، المدائح النبوية في الشعر الأندلسي في القرن الثامن الهجري، لسان الدين بن الخطيب وابن جابر نموذجاً، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي، جامعة الحاج لخضر، باتنة الجزائر، 2016-2017م.

المجلات:

-علي حسين يوسف عناد، (د.ت)، بناء القصيدة العربية بين الإشتراط والتوصيف، مجلة أهل البيت عليهم السلام، مجلة فصلية محكمة تصدر عن جامعة أهل البيت عليهم السلام، كربلاء، العراق، العدد 19.

فہرس

فهرس المحتويات

الصفحة	
	بسملة
	إهداء
	كلمة شكر
أ - د	مقدمة
المدخل: البنية والبناء الفني	
5	أولاً: مفهوم البنية
11	ثانياً: مفهوم البناء الفني
الفصل الأول: ماهية غرض المدح	
23	أولاً: مفهوم المدح
20	ثانياً: المدح في الشعر العربي القديم (الجاهلي والإسلامي)
24	ثالثاً: مضامين شعر المدح عند حسان بن ثابت
الفصل الثاني: التشكيل الفني في شعر حسان بن ثابت	
35	أولاً: اللغة والأساليب
47	ثانياً: المحسنات البديعية
56	ثالثاً: الصور البيانية
64	الخاتمة
67	قائمة المصادر والمراجع

عنوان المذكرة: البناء الفني في شعر المدح حسان بن ثابت نموذجاً.

المؤطر: الدكتور عيسى كويسي

الإسم: بدر الدين

اللقب: جليخ

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة البناء الفني في شعر المدح، فكان اختياري لمدحيات الشاعر حسان بن ثابت كنموذج عن ذلك باعتباره شاعراً له مكانته العظيمة بين شعراء عصره وحتى يومنا هذا كيف لا وهو شاعر أفضل خلق الله سيدنا ونبينا مُحَمَّدٌ ﷺ، فقامت بتسليط الضوء على شعر المدح وتناولت البناء الفني الذي يعتبر الأساس في عملية إنشاء تلك النصوص الشعرية وصناعتها، معتمداً في ذلك على المنهج الفني فهو عماد هذه الدراسة.

كلمات مفتاحية: البناء الفني، شعر المدح، حسان بن ثابت.

Name: Djellikh **First name:** badereddine **Directed by:** Dr/ Aissa kouissi

Abstract:

This research aims to study the artistic structure in the poetry of praise, it was optional to the praises of the poet Hassan bin Thabit as a model for that as a poet has a great place among poets of his time and to this day how not a better poet God created our Prophet and Prophet Muhammad On the praise of poetry and dealt with the artistic construction, which is the basis in the process of the creation of those poetic texts and industry, relying on the artistic method is the mainstay of this study.

Key words: Artistic construction, Poetry of praise, Hassan bin Thabit.

Nom: Djellikh **Prénom:** Badereddine **Encadreur:** Dr/ Aissa kouissi

Résumé :

Cette recherche vise à étudier la structure artistique dans la poésie de louange, était facultatif pour les louanges du poète Hassan bin Thabit, en tant que modèle, car un poète a une grande place parmi les poètes de son époque et comment un meilleur poète que Dieu a créé notre Prophète et Prophète Muhammad, que la paix soit sur lui. J'ai mis l'accent sur la poésie de louange et traité de la construction artistique, qui est la base dans le processus de création de ces textes poétiques et de leur fabrication, en s'appuyant sur la méthode artistique est le pilier de cette étude.

Mots clés : la structure artistique, Poésie de louange, Hassan bin Thabit.